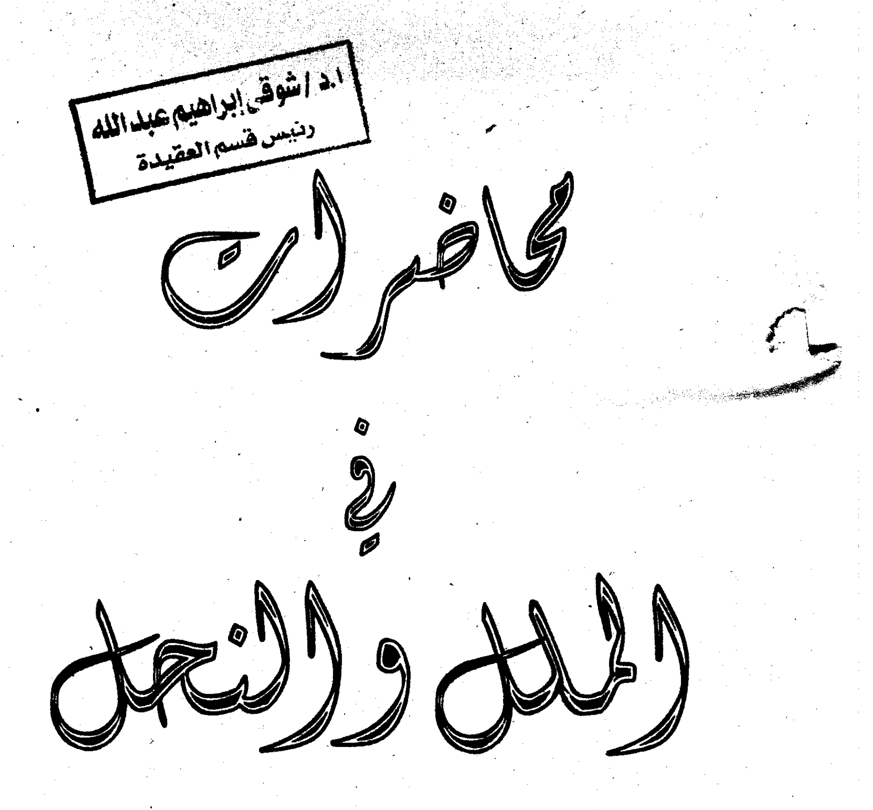
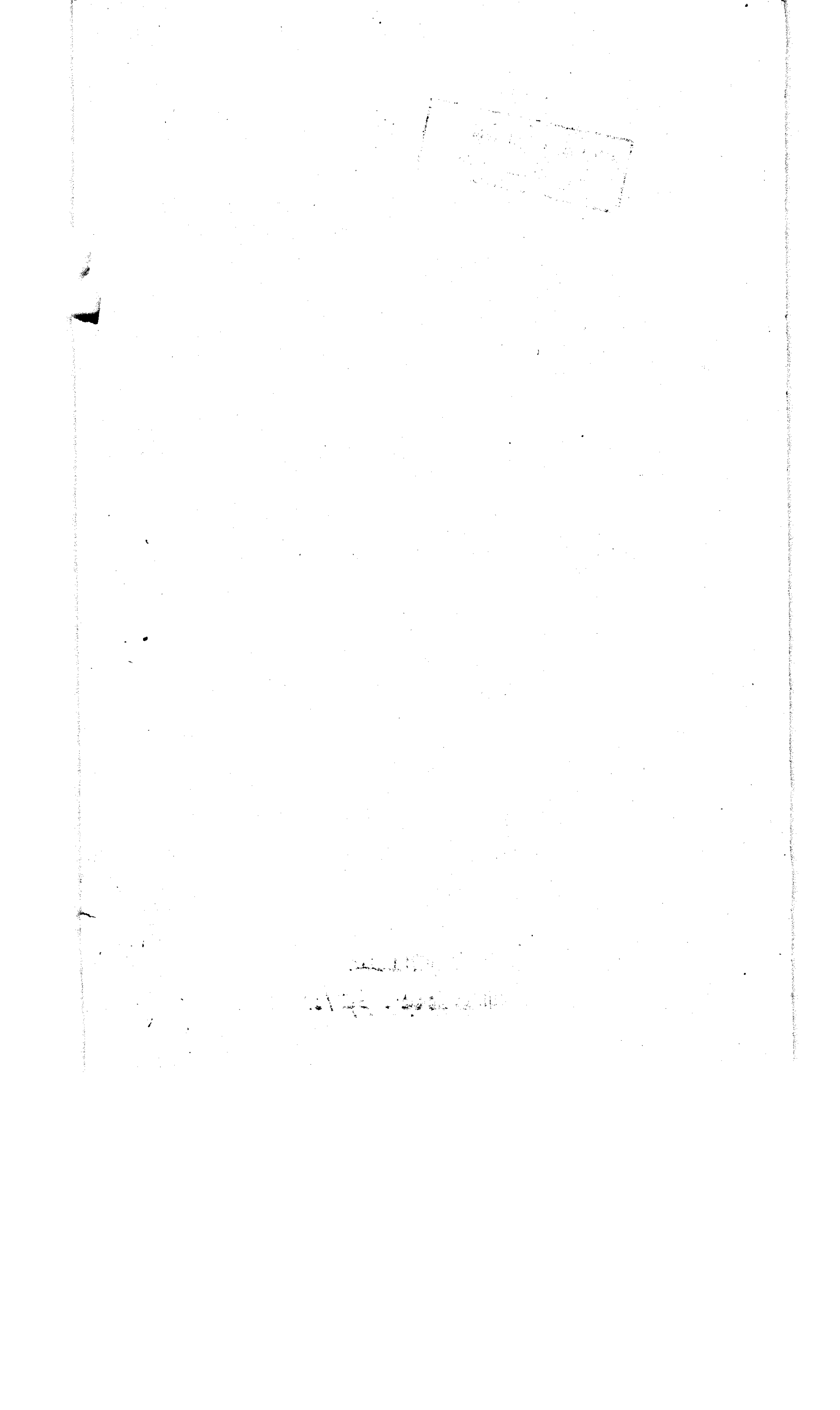


محاضرات في الملل والنحل

إعداد
أ.د/ شوقي إبراهيم علي عبد الله
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
جامعة الأزهر

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤م

عميـــد الكليـــة
أ.د/ شوقى إبراهيم على عبدالله



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سلك منهجهم إلى يوم الدين ... وبعد ؛

فإن هذه صفحات تتضمن محاضرات في الملل والنحل ألقيتها على طلاب كلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر ، وقد مهدت لهذه الدراسة بتعريف الدين والملة والنحلة والعقيدة وأصالة الدين وفطريته ، وقد توخيت في هذه الدراسة إبراز المعالم الخاصة لكل دين عرضت له وهي تحتوي على أهم الأديان الوضعية التي لا يزال لها أنصار وأتباع إلى يومنا هذا والتي كان لها أثرها في تاريخ الأديان ، وقد أخترت منها الهندوسية والبوذية والزرادشتية والكونفوشيوسية ديانة أهل الصين والطاوية والشنتوية ديانة أهل اليابان والمانوية ، ثم تحدثت عن اليهودية وعقائدها وفرقها كنموذج لديانة أهل الكتاب ، وإن في العمر بقية سوف نستكمل إصدار النصرانية مع ملاحظة أنني لم أتناول الديانات القديمة المندثرة ((الميتة)) مثل الديانة المصرية والديانة البابلية وديانة الأوثان عند اليونان وديانة الأوثان عند الرومان .

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه وأن ينفع به والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

دكتور/ شوقي إبراهيم علي عبد الله
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
الاثنين ١٨ رجب ١٤٢٤هـ
الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠٠٣م

تعريف الدين

معنى كلمة الدين : الدين في اللغة له معاني ثلاثة :

١- الدين يأتي متعديا بنفسه فيقال دانه يدينه فيكون معناه قهره وملكه وساسه وحاسبه ، فالدين على هذا الاستعمال يدور على المعنى الملك والتصرف بما هو شأن الملوك والساسة ومنه قوله تعالى: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ أي يوم المحاسبة والجزاء وهو يوم القيامة حيث يدين الله فيه الخلق بأعمالهم إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا ، ومنه الحديث النبوي عن النبي ﷺ ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟)) .

فالملك هو الله وحده وسمى غيره بهذا اللفظ من قبيل المجاز كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا** ﴾ [1]، ومنه لفظ الديان وهو اسم الذات الأقدس وهو الذي يدين الخلائق بمحاسبتهم يوم الجزاء . فقد بان مما تقدم أن كلمة دان إذا تعدت بنفسها كانت بمعنى الملك والقهر ، وفي هذا يدل الحديث ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت)) ، أي قهرها وأذلها .

٢- أما إذا كانت متعدية بواسطة فأما أن تكون باللام أو الباء ، فإذا جاءت متعدية باللام فيقال (دان له) فيكون معناها الخضوع والطاعة ومنه الحديث المروى عن النبي ﷺ ((أريد من قريش كلمة تدين لها العرب))

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٤٧ .

أي تطيعهم وتخضع لهم .

ونحن نلاحظ أن هذا المعنى الثاني قريب من المعنى الأول حيث ورد في القرآن الكريم كلمة الدين مراد بها المعنيين معا ، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴾ (٢) .

٣- أما إذا كانت متعدية بالباء فيقال (دان به) فيكون معناها اتخذ هذا الشئ دينا ومذهبا ، أي اعتقده واعتاده وتخلق به وأصبح شرعته وطريقته وهو المذهب والطريقة التي يسير عليها الناس في حياتهم النظرية والعملية ، فالعملية بأن تكون عادته وسيرته وطبيعته حتى أصبح هذا السلوك ملاصقا له كما تقول أن الغالب على الذئب بأنه حيوان مفترس والعقرب يلدغ .. وهكذا .

وقد قالت الأعرابية :

إذا كان الطباع طباع سوء ∴ فلا أدب يفيد ولا أديب

ونحن نلاحظ أن هذا المعنى الثالث أيضاً تابع للمعنيين السابقين لأن العادة والعقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها مما يجعله ينقاد لها ويلتزم باتباعها .

وخلاصة القول : أن كلمة الدين في اللغة العربية تشير إلى وجود طرفين أحدهما عبد يخضع والثاني ملك يعظم ويخضع له والرابطة بينهما دستور

---

(١) سورة الزمر الأيتان : ٢، ٣ .

(٢) سورة الزمر الآية : ١١ .

منظم لتلك العلاقة أو هو السلوك الخارجي الذي يعبر عن هذه العلاقة القائمة بينهما .

فالمادة كلها تدور حول معنى لزوم الإنقياد فمن ناحية الاستعمال الأول يكون الدين إلزام ومن ناحية الاستعمال الثاني يكون المراد إلتزام الإنقياد ، ومن ناحية الاستعمال الثالث يكون الدين هو المبدأ الذي يلتزم الإنقياد له والذي يعنينا نحن في دراستنا هما المعنيان الأخيران وبالأخص الثالث ، حيث أن كلمة دين تستعمل في تاريخ الأديان بما يدل على معنيين أحدهما نفسي وهو الذي يسمى بالتدين، والثاني الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة أو الروايات المأثورة ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا وعملاً [1]، وهذا هو المعنى الشائع .

وكلمة دين كلمة عربية خالصة ولا اعتبار لما يزعمه المستشرقون من أن هذه الكلمة " فارسية " خصوصا بعد رجوعنا إلى الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة في معاجم كتب اللغة العربية وإن ما يزعمه المستشرقون لهي دعوة عنصرية تستهدف الحط من قيمة العرب والعروبة وتجريدهم من كل شيء مما اشتهروا به من الفصاحة والبيان .

تعريف الدين في الاصطلاح :

عرّف علماء الإسلام الدين بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل ، أو هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقاد وإلى الخير في السلوك والمعاملات .

---

(١) راجع الدين ومحمد عبد الله دراز .

وذكر الدكتور دراز في كتابه (الدين تعريفات شتى) استخلص منها بعد مناقشة مستفيضة التعريفين التاليين :

١- الدين هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات القوة الإلهية وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها .

٢- الدين هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة وعلى كل فإن جوهر الدين اختلاف الأديان وكثرتها .. واختلاف العلماء يمكن أن يرجع إلى " الإيمان بذات أو ذوات إلهية والخضوع والطاعة لأوامرها " .

وقد عرّف البعض الدين بالنظر إلى نفس المتدين فقال " سبنسر" : الدين هو الاحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار أو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية .

وعرفه " ماكس ميلر" بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه وهو التطلع اللانهائي وهو حب الله .

ويقول " كانت " في كتابه (الدين في حدود العقل) : الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية .

ويقول " الأب شاتل " في كتابه (قانون الإنسانية) : الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق وواجبات الإنسان نحو الله وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه .

وبعد؛ فهذه نماذج من تعريفات الدين لدى كل من المسلمين وعلماء الغرب .

فالمسلمون ينحصر الدين عندهم في الدين الموحي به من عند الله والذي يستند إلى عبادة إله واحد وهو المهيمن على كل شيء ، ولا يدخل في هذه

التعريفات الديانة التي تستند إلى الطبيعة أو القائمة على محض العقل ، أو وليدة الخيال . فالقرآن قد أخرج كل هؤلاء عن أن يكون لهم دين ، فقال تعالى ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [١]، وقوله تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [٢] .

أما تعريفات علماء الغرب فنحن نلاحظ أن حقيقة الدين عندهم لا تلغي في تحديدها معنى الاعتقاد بإطلاق أو فكرة الخضوع من حيث هي بل لابد من إضافة قيد يبرز عناصرها الجوهرية .

وكما نلاحظ أن تعريفات المفكرين في أوربا للدين بدأت في صورة سلبية وتجريد الدين من عنصره الروحي وإبعاد الدين عن أخص صفاته وهو الألوهية وذلك هو نتيجة انتكاسات أوربا وفصلها الدين عن الدولة وحبس الدين داخل جدران الكنيسة .

ومن أراد المزيد تعريفا لكلمة دين فقد ذكر الدكتور عبد الله دراز في كتابه (الدين تعريفات متعددة) فليرجع إليها من أراد الاستزادة .

معنى كلمة ملة وشريعة ، وهل هما بمعنى الدين أم لا ؟

قال الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في ترغيب القرآن : الملة كالدين وهي اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتواصلوا به إلى جوار ربهم .

وقد جاء في القرآن الكريم كلمة ملة في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ [٣] أي دين إبراهيم وما يعتقده .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

(٢) سورة الكافرون الآية : ٦ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٢٣ .

وفي أساس البلاغة من المجاز استعمال الملة بمعنى الطريقة السلوكية .

فالملة اسم لجملة الشرائع ، أما الدين هو ما يكون عليه كل واحد من أهل الملة الواحدة ، وعليه فالملة أعم من الدين والفرق بينهما واضح .

يقول الراغب الأصفهاني : بينا الفرق بين الدين والملة : أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – الذي تستند إليه نحو ﴿ **فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ ﴿ **وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي** ﴾ ولا توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبي ﷺ ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها فلا يقال ملة الله ولا ملتي كما يقال دين الله وديني فالملة تضاف إلى من أوحيت إليه .

والدين يضاف إلى من يعتنقه ويؤمن به .

وعلى هذا فأحكام التوراة ملة هي ملة موسى وأحكام الإنجيل ملة هي ملة عيسى .

وإلى ما ذكر من تعريف للملة يجب أن نوضح المراد بكلمة نحلة .

فنحل لغة الدعوى والنحول هو الهزال ويقال نحل بالفتح من باب خضع ونحل بالكسر نحولا والفتح أفصح [١]، ونحل بالفتح الدعوى الباطلة والنحلة بالكسر العطية نفسها ومنه قوله تعالى ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [٢].

والانتحال عربية إدعاء الشيء وتناوله ، فمن ادعى دينا فقد انتحله لنفسه فمن انتحل الإسلام فقد ادعى أنه مسلم ومن انتحل الشعر فقد ادعى أنه شاعر ومن انتحل البوذية فقد ادعى أنه بوذي .

وقد وضع علماء الغرب لهذه النحلة اصطلاحا فقالوا النحلة يراد بها

---

(١) المختار الصحاح باب النون فصل اللام .

(٢) سورة النساء الآية : ٤ .

مجموعة العقائد والعبادات والشعائر التي تخص شخصا بعينه .

غير أن هذا التعريف خاطيء لأنهم سحبوا ذلك على الإسلام فقالوا : الإسلام نحلة لأن النحلة تختص مواصفاتها الشخص الواحد أو الجماعة الواحدة والإسلام هو دين البشرية جمعاء، وقد سمى الله نحل الكافرين ومللهم هوى وذمها ، فقال تعالى: ﴿ **وَلا تَتَّبِع أَهوَاءَهُم عَمَّا جَاءَكَ مِن الحَقِّ** ﴾ .

أما الدين باعتبار مصدره واحد وهو الله الديان القاهر فوق عباده ودين الله المرسل به جميع الأنبياء هو الإسلام . قال تعالى: ﴿ **وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِن الكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ فَاحكُم بَينَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِع أَهوَاءَهُم عَمَّا جَاءَكَ مِن الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجًا وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبلُوَكُم فِي مَا آتَاكُم فَاستَبِقُوا الخَيرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ** ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ** ﴾ (٢) .

أما الشريعة : فقد جاء في القرآن الكريم : لفظ شريعة فقال تعالى ﴿ **ثُمَّ جَعَلنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِن الأَمرِ فَاتَّبِعهَا** ﴾ (٣) .

وجاء لفظ شرعة فقال تعالى ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجًا** ﴾ (٤).

وجاء لفظ شرع فقال تعالى ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِن الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا** ﴾ (٥) .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤٨ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩ .
(٣) سورة الجاثية الآية : ١٨ .
(٤) سورة المائدة الآية : ٤٨ .
(٥) سورة الشورى الآية : ١٣ .

والشريعة في اللغة : مشرعة الماء وهي مورد الشاربة ، والشريعة هي ما شرع الله من الدين لعباده ، وشرع لهم أي سن وبابه قطع - الشارع هو الطريق الأعظم - ومن ثم فإن إطلاق الشريعة (بمعنى المورد) على دين الله وأحكامه من باب الاستعارة الأصلية بجامع أن كلا سبب لمطلق حياة ، فالشريعة بمعنى مورد الماء سبب لحياة الأجسام والدين سبب لحياة الأرواح .

أما في الاصطلاح : كل ما شرعه لعباده وسنه من أحكام على لسان سيدنا محمد ﷺ سواء كانت أحكاما عملية (وتشمل الجانب العملي) أو نظرية (وتشمل الجانب الاعتقادي) .

فعلى هذا التعريف فإن الشريعة تكون لها جانبان نظري وهو موضوع علم الكلام من الاستدلال على ذات الله وصفاته ، وجانب عملي تطبيقي وسلوكي وهو موضوع علم الفقه من صلاة وصيام وأحوال شخصية وبيوع وغير ذلك .

العلاقة بين المسميات السابقة :

أن الأحكام التي أنزلها على نبي من الأنبياء : تسمى دينا من حيث أنها يخضع لها الناس بالانقياد والطاعة ويعملون على تنفيذها في سلوكياتهم الدنيوية .

وتسمى ملة باعتبار أنها تملى وتكتب .

وتسمى شريعة من حيث أنها مشروعة مبينة .

فالاختلاف باعتبار الماصدقات والاتحاد في المفهوم .

✿ ✿ ✿

أصالة الدين

ترجع نشأة الدين إلى نشأة الإنسان بمعنى أن الدين بدأ ببداية الإنسان ونشأ معه فليس هناك ما يدل على أن نشأة الدين تأخرت عن نشأة الانسان ،

وإذا رجعنا إلى الوراء وبحثنا فى أعماق التاريخ وجدنا أنه ما من جماعة إنسانية كانت تعيش فى تلك الأزمان القديمة إلا كان لها دين ومعبود تتجه إليه رهبا حيناً ورغباً حينا آخر .

فالرغبة والرهبة هما الطابع الذى يتسم به كل دين من أول عهد البشرية بالحياة إلى عصرنا الذى نعيش فيه .

ولقد بدأ الدين ببداية الانسان لأن الإنسان متدين بطبعه حيث أن الدين حاجة فطرية فى نفسه أودعها الله سبحانه وتعالى فيه منذ أن خلقه « فطرة الله التى فطر الناس عليها »[1] .

وقد قرر الفلاسفة والباحثون أن الانسان يؤمن بربه ويعرفه إيماناً فطرياً ومعرفة غريزية فيه ولو لم تصله أية رسالة تمهيدية وهذه المعرفة ترجع إلى الميثاق أو العهد الذى أخذه الله على بنى آدم وهم فى عالم الذر وهذا

---

(١) سورة الروم .

ما يبدو لنا من قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا (١) .

وإذن فإن الغريزة أو العاطفة الدينية أصيلة فى كل نفس إنسانية وشائعة فى كل الأجناس البشرية .

وهذه الغريزة لا تضعف ولا تنقص أو لا تختفى تماماً إلا تحت تأثير الثقافة والبيئة وفى أزمـــان الحضارة المتطرفة المسرفة وعند قلة من الناس (٢) .

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢ .

(٢) كما شاهدنا موجة الإلحاد الحديثة فى أوربا على وجه الخصوص وإنكار الإله فى أوربا له أسبابه :

لقد كانت العلمانية أو إنكار الغيبيات إحدى آثار ردة الفعل إزاء استبداد الكنيسة وامتداد طغيانها إلى العلماء ويمكننا أن نلخص انحدار الفكر الغربى نحو المادية والاقتراب من فكرة إنكار الإله ثم التصريح بها فى الخطوات التالية :

١ — تحريف الاسلام النازل على سيدنا عيسى وتغيير الانجيل ومزج العقيدة الصحيحة بالفلسفة اليونانية والعقائد الوثنية الرومانية مما أدى إلى التثليث .

=

=

٢ طغيان الكنيسة خلال القرون الوسطى للميلاد وسيطرتها على شئون الدين والدنيا واعتناقها لفلسفة أرسطو واعتبارها جزءاً من العقيدة وتكفير معارضيها أو من يرى خطأها والحجر على حرية العلماء ومنعهم البحث العلمى الحر مما جعل أوربا فى القرن الخامس عشر الميلادى لاتزيد عن أوربا فى القرن الخامس قبل الميلاد فى ميزان التقدم العلمى شيئاً يذكر .

٣ - اتصال الأوربيين بالحضاره الاسلامية عن طريق الأندلس والحروب الصليبية وأخذهم المنهج العلمى التجريبى فى شتى العلوم مما جعل الكنيسة تخشى على نفسها من الإسلام .

٤ - أدى ذلك إلى قيام صراع مرير بين رجال العلم فى أوربا وبين رجال الدين والكنيسة انتهى بانتصار العلماء .

٥ - أدى انتصار العلماء إلى شك العلماء فى عقيدة الكنيسة ودينها ومع التطرف والمغالاة أدى ذلك إلى إنكار الغيبيات والاقتراب من المادية البحتة والكفر بالاله.

٦ - أحدث ذلك فراغًا عقيديًا فى نفوس الأوربين حيال مسائل العقيدة الرئيسية الألوهية والعالم والانسان مما جعل الناس يتطلعون إلى العلم بصفته المنتصر فى المعركة ليقدم لهم البديل عن عقيدة الكنيسة .

٧ - ظهور نظرية النشوء والارتقاء أو نظرية التطور لصاحبها شارلس =

ويدل تاريخ الفلسفة اليونانية على أن أكثر فلاسفة اليونان سلموا بوجود قوة عليا هى أصل الكون .

وعلى هذا فإن الدين أمر فطرى أو غريزى فى الإنسان أصيل فى أعماقه وشعوره وإحساسه وفطرته .

بمعنى أن الاعتقاد فى كائن أعلى والتدين به أمر طبيعى فى الإنسان وحاجة من حاجات النفس تهيمن على المرء طوال حياته ولا بد له من إروائها وإشباعها كسائر حاجات النفس الأخرى .

وإذا كان الشعور الدينى أصيلا هكذا فى الإنسان فى أى زمن وفى أى مكان لأنه نابع من نفسه الطلقة التى لا تكف عن البحث فى المجهول فإن الأديان قد لازمت الانسانية ولا يمكن أن نجد أمة من الأمم خلت تماماً من الدين وقد ذكر المؤرخ الرومانى « بلوتارك » أن من الممكن أن نجد مدناً بلا أسوار ولا ملوك وبلا ثروة وبلا آداب وبلا مسارح ولكن لم ير إنسان قط مدينة بلا دين أن لا تمارس العبادة فالدين طابع الانسان»(١)

= دارون كتفسير علمانى للحيـــاة ونشأة وأصل الاحياء بعامة والانسان بخاصة .

٨ بالرغم من عدم ثبوت نظرية دارون علمياً وفكرياً فإن الصهيونية إستغلتها لترسيخ العلمانية وللدعوة إلى الكفر بالأديان والغيبيات هدماً للاديان وتنفيذاً لمخططاتهم الرامية إلى هدم الدين كمقوم أساسى للامم - ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(١) نقلا عن . مصطفى حلمي دراسات فى الفكر الاسلامى ص ٢٠٤ ط ٩٨٢ .

وإذا كانت الأديان قد لازمت البشرية فإن رسالات الله تعالى فى نزولها على الأنبياء والرسل إلى الناس أمة بعد أمة كانت كلها ذات هدف أساس وهو التوحيد والخضوع والانقياد لله تعالى وكان كل واحد من الأنبياء والرسل يصدق من سبقه من الأنبياء والمرسلين ويمهد لمن يأتى بعده حتى كان ختام الرسالات الالهية على يد خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ .

وقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا ويصدقوا بهذا الرسول الخاتم قال تعالى « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين(١) » .

وقد نص القرآن على أن رسالة محمد ﷺ قد ختمت رسالات الله تعالى إلى الناس وأن محمدا ﷺ - هو خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى « ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين(٢) » .

وقال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً(٣) » .

وروى الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما - فى قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم » قال : أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .
(٢) الأحزاب ٤٠ .
(٣) المائدة (٣) (٤) الطبري ج ٦ ص ٧٩ تفسير .

قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله عز وجل فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً وكذلك نصت السنة على أن محمداً - ﷺ هو خاتم الأنبياء فقد أخرج مسلم قال « حدثنا يحى ابن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل (يعنون بن جعفر) عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل من بني بنياناً فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : وأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين(١) » .

إن الدين عند الله الإسلام :

ولقد جاء محمد ﷺ يحمل للانسانية رسالة الاسلام هداية للناس في عقائدهم واصلاحا لما فسد من أمور حياتهم وإذا كان للاسلام مفهومه الخاص باعتباره اسما لآخر دين سماوي جاء به محمد ﷺ فإنه في نفس الوقت يعبر عن الدين الواحد الذي جاء به الأنبياء والرسل جميعاً يدعون إلى اسلام الوجه له سبحانه وتعالى والخضوع والانقياد لأوامره .

والاسلام بهذا هو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء والرسل وأمر الله الناس أن لا يختلفوا فيه قال تعالى عن نوح - عليه السلام - في مخاطبته لقومه قال تعالى :

---

(١) الطبري حـ ٩ ص ١٨ تفسير .

« فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون أول المسلمين(١) ».

وذكر الله تعالى أن ابراهيم واسماعيل ـ عليهما السلام ـ قد دعوا الله تعالى أن يجعلهما ونسبهما من المسلمين وأن ابراهيم ويعقوب ـ عليهما السلام ـ قد وصى كل منهما أبناءه بأن يكونوا مسلمين ، قال تعالى على لسان ابراهيم وولده اسماعيل : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك(٢) ».

وعن ابراهيم ويعقوب قال تعالى : « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه يعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلها واحداً ونحن له مسلمون(٣) ».

وأخبر تعالى أن يوسف ـ عليه السلام ـ قال . « أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » وقال تعالى عن حوارى عيسى ـ عليه السلام ـ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال

---

(١) يونس آية ٧٢ .

(٢) البقرة ١٢٨ .

(٣) البقرة آية ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ .

الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون(١) وأمر الله نبيه الخاتم محمداً ﷺ أن يقوله : « قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم(٢)».

وأن يقول : « وأمرت أن أكون أول المسلمين(٣) » .

والنتيجة من كل ذلك أن الإسلام هو دين كل الشعوب والأجيال فهو دين الجيل الذى بعث فيه محمد ﷺ ودين الأجيال من بعده حتى يوم الدين لأنه دين الله سبحانه وتعالى وأنه لن يقبل من البشر ديناً غيره قال تعالى كلماته : « إن الدين عند الله الإسلام(٤) » .

وقال : ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين(٥) .

وللاسلام عنصران أساسيان لايتحقق إلا بهما معاً .

العقيدة والشريعة :

ومعنى عقيدة : أى : تنظيم لعلاقة الفرد بربه وبيان ما يجب عليه نحوه

---

(١) المائدة ص ١١١ .
(٢) الأنعام آية ١٤ .
(٣) الزمر آية ١١ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٩ .
(٥) سورة آل عمران ٨٥ .

من الاعتقاد فى وجوده والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبعدالة حكمه وتقديره ومعرفة ما يجب أن يوصف به وما يجب أن يتنزه عنـــه .

ومعنى شريعة : أى تنظيم لعلاقة الأفراد بعضهم ببعض وبيان ما يجب على الانسان المسلم نحو أخيه المسلم وسائر مايحتاجه الانسان فى أمور حياته من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية وقد اختص علماء الفقه والاقتصاد والسياسة والأخلاق بالناحية التشريعية واهتموا بها اهتماماً بالغاً حيث استخرج كل واحد منهم النظرية الاسلامية فى مجاله .

وأما العقيدة : فقد اختص بها علماء التوحيد وجمعوا مسائلها فى علم خاص أطلقوا عليه اسم : علم التوحيد أو علم الكلام أو علم أصول الدين ويسميه أبو حنيفة بالفقه الأكبر ويمكن أن نطلق عليه اسم : علم العقيدة .

تعريف العقيدة الاسلامية(١) .

---

(١) يفرق الشيخ السنوسى فى شرحه على السنوسية الكبرى بين خمسة أمور علم ، اعتقاد ، ظن ، شك ، وهم . فالادراك الجازم بسبب البداهة أو البرهان يسمى علماً ، ومعرفة ، ويقيناً :

والادراك الجازم لا بسبب البداهة أو البرهان وإنما يكون لا بسبب أصلا أو لشبهة يسمى : اعتقاداً .

=

وهذا لايتصور إلا فى الأمور المادية ولكنه يطلق على الربط المعنوى بشيء من المجاز والتوسع لذا نرى أن العقيدة بمعناها الاصطلاحى تعنى الربط الوثيق بين الشخص المعتقد والشيء المعتقد فيه فمثلا :

إذا توافرت الأدلة لدى شخص ما على صحة شيء من الأشياء فحدثت بينه وبين ذلك الشيء علاقة وثيقة لاتقبل الانفصام يمكن أن سمى ذلك الشخص فى هذه الحالة معتقداً صحة ذلك الشيء وهذا المعنى وإن كان اصطلاحياً إلا أنه ليس الاصطلاح الشرعى وعلى هذا فتحديد المعنى الشرعى للعقيدة إنما تتعين بتحديد موضوعها ونستطيع أن نعرف العقيدة بأنها مجموعة من قضايا الحق المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ويثنى عليه صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها لايرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً .

وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به وقدرته عليه ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ومجازاته إياه على كسبه الإختيارى وعليه غير الاضطرارى وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه ورسله .

= وهذا الاعتقاد يسمى اعتقاداً صحيحاً إذا كان مطابقاً للواقع واعتقاداً فاسداً وجهلا مركباً إذا لم يكن مطابقاً للواقع .

أما الإدراك غير الجازم فإن كان راجحاً على مقابلة فهذا يسمى ظناً وإن كان مرجوحاً فيسمى وهما .

أما إن كان مساوياً فيسمى شكا .

طاعة تزكو بها نفسه وتتهذب بها مشاعره وتكمل بها أخلاقه[1] ويلاحظ على تعريف العقيدة عند علماء الإسلام أنهم يشترطون الاستدلال العقلي اليقيني لصحة العقائد وخصوصاً في من هم أهل لذلك وذلك نظراً لأن القرآن الكريم قد دعا في كثير من آياته إلى أعمال الفكر والعقل والنظر ونعى على المقلدين الذين يسلمون بالعقائد عن طريق الإرث والتقليد لا عن طريق التفكر والتعقل وهذا هو الفرق بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى التي طلبت من الناس أن يسلموا بعقائدها بمجرد تسليم بلا دليل ولا برهان كالنصرانية التي اشتهر عنها خذ وأنت أعمى .

والإسلامية : نسبة إلى الإسلام وهو لغة مصدر أسلم ويأتي بمعنى خضع واستسلم وبمعنى أدى ويقال أسلمت الشيء إلى فلان إذا أديته إليه وبمعنى دخل في السلم بمعنى الصلح والسلامة والمسلم هو المنقاد لله سبحانه وتعالى بعبادته وحده والاخلاص له في الاعتقاد والعمل معاً .

ومعنى اخلاص الاعتقاد : ألا يتوجه المسلم بقلبه إلا إلى الله ولا يستعين بأحد سيما وراء الأسباب الظاهرة إلا الله ومعنى اخلاص العمل : أن يقصد بعمله مرضاة الله سبحانه لا اتباع الهوى وارضاء الشهوات[2] .

والاسلام اصطلاحا هو الدين الذي نزل على محمد ﷺ وارتضاه الله سبحانه وتعالى لأمة سيد الخلق « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »[3] .

---

(١) عقيدة المؤمن ص ٢٣ أبو بكر الجزائري . بيروت .

(٢) المصطلحات الأربعة د/ عبد المتعال الجبري ص ٩ نقلا عن د/ شفد الدين السيد العقيدة الاسلامية ص ٢١ .

(٣) المائدة .

والاسلام الحنيف قد اشتمل على ناحيتين عقيدة وشريعة كما ذكرنا .

فالعقيدة : قد اختص بها علماء الكلام وجمعوا مسائلها فى علم خاص أطلقوا عليه اسم علم الكلام أو علم التوحيد أو علم أصول الدين ويسميه أبو حنيفة بالفقه الأكبر ويمكن أن نطلق عليه اسم : علم العقيدة الاسلامية وقد عرفه صاحب المواقف بأنه : العلم الذى يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه(١) .

أى أنه العلم الذى يوصل الانسان إلى الدلالة اليقينية على عقيدته ويمكنه من هدم شبه الملحدين .

---

(١) المواقف تأليف عضد الدين عبد الرحمن الأيجى ص ٧ مكتبة المتنبى القاهرة .

الأديان الوضعية

(١) الهندوسية

هي دين أكثر أهل الهند ، ويعود ظهور هذا الدين الوضعي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

(أ) قضية الألوهية : كان الهنود القدماء يعبدون مظاهر الطبيعة وقواها، ويتخذون لكل قوة من قوى الكون ، ومظهر من مظاهر الطبيعة إلهاً ، فهناك إله للسماء وإله للأرض وإله للرعد وآخر للبرق وآخر للأمطار ، وآخر للأنهار . . . وهكذا — يتوجهون إلى هذه الآلهة المتعددة بالعبادة والتقديس ، ويقدمون لها القرابين ، ويستعينون بها في جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم ، ويستنصرون بها على أعدائهم .

وكانوا حين يتجهون لواحد من هذه الآلهة لغرض من الأغراض — يتجهون إليه بجميع عواطفهم وقلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ، ويتجاهلون ما عداه من الآلهة الأخرى ، ويخلعون عليه لقب « رب الأرباب وإله الآلهة » فإذا ما اتجهوا إلى إله آخر بعد ذلك توجهوا إليه هو أيضاً بجميع كيانهم وشعورهم وتناسوا ما عداه من الآلهة ، ووصفوه بأنه « رب الأرباب وإله الآلهة» وهكذا .. وبمرور الزمن تطور هذا الوصف من كونه مجرد وصف للتعظيم إلى عقيدة يعتقدونها — أي أنهم أصبحوا يعتقدون أن بين الآلهة رباً ومربوبين ، ورئيساً

ومرءوسين ، ثم جمعوا الآلهة المتعددة فى إله واحد هو « رب الأرباب وإله الآلهة »
وأطلقوا عليه اسم « براهما » وهذا الإله مع أنه واحد إلا أنه فى نفس الوقت
ثلاثة باعتبار ما يقوم به من أعمال — فهو « براهما » باعتبار أنه خالق وموجد،
وهـــو « فشنو » باعتبار أنه حافظ ومدبر ، وهو « شيفا » باعتبار أنه مهلك
ومدمر (١) .

وبهذا تطورت عقيدة الهندوسية من القول بتعدد الآلهة إلى القول بالتوحيد
والتثليث فى نفس الوقت ، وقد حدث هـذا التطور فى القرن الثامن قبل الميلاد
على يد « البراهمة » — وهم رجال الدين من الكهنة — ومنذ ذلك الحين أطلق
على هذا الدين اسم « البرهمية » .

وهـذه العقيدة التى تطورت إليها الهندوسية — عقيدة التوحيد والتثليث —
تشبه تماما عقيدة النصارى بعد التحريف حيث يقولون أن الإله واحد إلا أنه فى
نفس الوقت ثلاثة : الآب — الابن — الروح القدس — فهو واحد فى ثلاثة ،
وهو ثلاثة فى واحد .

وبهذا يتبين لنا أن النصرانية المحرفة قد تأثرت بالهندوسية بعد تطورها إلى
البرهمية ، وذلك لأن هذه الأخيرة أسبق تاريخاً من النصرانية .

والذى يؤكد لنا هذا التأثر أن مذهب « أفلوطين السكندرى » (الافلاطونية
الحديثة) كان منتشرا فى بلاد الشرق الأوسط فى الوقت الذى انتشرت فيه النصرانية
الوليدة فى هذه البلاد وكان « أفلوطين » قد رحل إلى بلاد الهند وأقام فيها فترة

---

(١) عباس محمود العقاد ـ الله ـ ص ٧٥ - ٧٨ ، د . أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص د. رفيق زاهر ـ قصة الأديان ص ١٠٥ ـ د. عماره نجيب: الإنسان فى ظل الأديان ص ١٨٧ - ١٩٠

وأعجب بعقيدة « البرهمية » في الإله الواحد الثالوث — وبعد أن عاد إلى الإسكندرية بلده دعا إلى مذهبه الفلسفي الذي يقول فيه أن العالم يعود إلى ثلاثة مبادىء : المكون الأول والعقل والروح — وقد انتشر هذا المذهب في مصر وما جاورها في الوقت الذي بدأت فيه النصرانية الناشئة تنتشر في هذه البلاد وكان لهذا أثره في تحريف النصرانية حتى تنسجم مع هذا المذهب الفلسفي السائد — فالآب يقابل المكون الأول ـ والابن يقابل العقل ـ والروح القدس يقابل الروح .

وبهذا يتبين لنا أن النصرانية المحرفة قد تأثرت بالهندوسية المتطورة إلى البرهمية في القول بالإله الواحد الثلاثة .

وهناك أسطورة توضح عقيدة الهندوسية في القول بالتوحيد والتثليث في نفس الوقت — وهي تقول : إن أحد الكهنة توجه إلى أحد معابد الهندوس حيث يوجد ثلاثة أصنام لكل من براهما وفشنو وشيفا ، فوقف أمام هذه الثلاثة ووجه إليها هذا السؤال : أيكم الإله بحق ؟ فأجابه الثلاثة : كلنا الإله بحق — فالإله واحد ولكنه يظهر في كل منا بحسب عمله الذي يقوم به ، فمن عبد واحداً منا فقد عبد الثلاثة (١) .

(ب) النبــوة : تنكر هذه الديانة النبوات ، وترى أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالإله الحكيم ، وهناك شبهة تستند إليها هذه الديانة في إنكارها للنبوات ، ومحصل هذه الشبهة ما يلي :

« أن إرسال الرسل عبث ، لأن ما يأتي به الرسول إما أن يكون متفقاً مع حكم العقل أو مخالفا له ، فإن كان ما يأتي به الرسول متفقاً مع حكم العقل فلا حاجة إلى الرسول بل نكتفي بحكم العقل إذ أن الرسول لم يأتنا في هذه الحالة بشيء

---

(١) د. أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ص ٥٩

جديد — فيكون إرساله عبثاً ، والعبث لا يليق بالإله الحكيم .

وإن كان ما يأتى به الرسول مخالفاً لحكم العقل فإنه يجب علينا فى هذه الحالة أن نعمل بما تقضى به عقولنا ونرفض ما يأتى به الرسول ، إذ أن الإنسان لا يكون مكلفاً إلا بما يحكم به عقله ، فالعقل هو حجة الله على عباده ، وهو مناط التكليف والمسئولية والثواب والعقاب ، وإذا كان الأمر كذلك فإن إرسال الرسول يكون عبثاً (١) .

فإرسال الرسول عبث إذاً فى الحالين : سواء أكان ما يأتى به متفقاً مع حكم العقل أم مخالفاً له — والعبث لا يليق بالإله الحكيم .

هذا هو محصل شبهتهم فى إنكار النبوة ، والرد عليها سهل ميسور ، نكتفى فيه بالأوجه التالية :

١ — أن العقل البشرى عاجز عن إدراك الحقائق الدينية بمفرده بل هو فى حاجة إلى مرشد ومعين — وهذا المرشد هو الرسول الذى يأتى بالوحى من عند الله — وقد سبقت الإشارة إلى هذا الرد فى صفحات سابقة فى موضوع آخر (٢)

٢ — أننا لو سلمنا جدلا بأن بعض العقول قادر على إدراك بعض الحقائق الدينية — كإدراك وجود الله تعالى وبعض صفاته — إلا أن هذا البعض يعجز عن إدراك البعض الآخر — مثل بعض صفات الله كالسمع والبصر والكلام ، ومثل أنواع العبادات وكيفياتها وشروطها وتفاصيلها ، ومثل ما يحدث بعد الموت من بعث وحساب وجنة ونار — هذه الحقائق يعجز العقل عن إدراكها فإرسال الرسول ضرورى لكى يؤكد ويثبت بالدليل النقلى ،

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ج٢ ص١

(٢) انظر مقدمة هذا الكتاب ص ١٢

ما سبق للعقل أن أدركه بالدليل العقلي ، ولكي يوضح ويبين ويفصل ما عجز العقل البشري عن إدراكه .

٣ — أننا لو سلمنا أن بعض العقول قادر على إدراك بعض الحقائق الدينية بدون رسول إلا أن البعض الآخر يعجز عن ذلك ، إذ أن العقول متفاوتة من حيث مستوى الذكاء وبالتالي فهي تختلف في الحكم على الشيء الواحد ، بل أن الشخص الواحد يختلف حكمه على الشيء الواحد بين وقت وآخر ، وهذا الاختلاف والتفاوت في الحكم على الأشياء يؤدي إلى التنازع بين الناس ، فالتقاتل والفوضى — ومن جهة أخرى فالإنسان مدني بطبعه — أي لا يعيش إلا في جماعة — واجتماع الناس مظنة الاختلاف ، لأن رغبات كل فرد لا تقف عند حد — وكل فرد يسعى إلى تحقيق هذه الرغبات ولو على حساب الآخرين: فيؤدي هذا إلى التنازع بين الناس ، ومن ثم إلى التقاتل والفوضى ، فلا بد إذاً من وجود قانون عام يذعن له جميع الناس المختلفين فيما بينهم — هذا القانون لو وكل أمر وضعه إلى الناس لاختلفوا فيما بينهم إذ يدعى كل واحد منهم أنه أولى وأحق من الآخر بوضعه ، فيؤدي هذا إلى التنازع — أما إذا كان هذا القانون إلهيا قد جاء على يد واحد من الناس يتميز عنهم بميزة لا يشاركه فيها غيره — وهي أنه يتلقى الوحي المؤيد بالمعجزة — فإن هذا يجعل الناس يذعنون لهذا القانون ويخضعون له ، فينتهي التنازع والتناحر فيما بينهم .

(جـ) عقيدة الجزاء : يؤمن الهندوس بالجزاء بعد الموت ، ويرون أن هذا الجزاء أمر ضروري ، وذلك لأن كثيرا من الناس الأخيار والأشرار لا يلقون جزاءهم في هذه الحياة على ما عملوا من خير أو شر — فلا بد لهم أن يجازوا بعد موتهم — والجزاء عندهم إنما يتم بتناسخ الأرواح — أي أن

روح الإنسان الخير بعد موته تنتقل إلى جسد إنسان طيب لتثاب وتسعد بحياتها في هذا الجسد — والإنسان الشرير تنتقل روحه بعد موته إلى جسد إنسان شرير أو حيوان لتتعذب وتشقى بوجودها فى هذا الجسد — وتظل الروح تنتقل من جسد إلى جسد آخر حتى تطهر تماماً من جميع شرورها وآثامها ، وحتى تصفو تماماً وتصبح أهلا للاتصال ببراهما والفناء فيه فتعود إليه وتفنى فيه — وهذه المرحلة تسمى « مرحلة الإنطلاق » ، وذلك لأنهم يعتقدون أن الأرواح كانت فى أول الأمر متصلة ببراهما ثم انفصلت عنه وحلت فى الأجساد — وهذه الأجساد تعتبر سجناً للأرواح التى تحاول أن تتخلص من سجونها لتعود إلى مكانها الأول : ولكنها لا تتمكن من ذلك إلا بعد تطهيرها عن طريق التناسخ — فإذا ما طهرت تماماً أصبحت أهلا للانطلاق والعودة إلى « براهما » والفناء فيه — وهذه هي السعادة القصوى عندهم .

والتناسخ عندهم سببان :

<u>السبب الأول</u> : هو الجزاء على ما فعله الإنسان فى حياته من خير وشر .

<u>السبب الثانى</u> : تحقيق الرغبات ، فكثير من الأرواح تخرج من حياتها ولم تحقق جميع رغباتها ، وإنما وجدت هذه الرغبات لكى تحقق - فإذا ما مات الشخص ولم تحقق روحه جميع رغباتها فى حياتها الأولى ، فإنها تبقى متعلقة بهذه الرغبات ولذا تعود إلى الحياة مرة ثانية فى جسد آخر لكى تحقق هذه الرغبات - فإذا ما استوفت الروح جميع رغباتها عن طريق التناسخ ، وتطهرت تماماً من شرورها وآثامها عن هذا الطريق نفسه ، فإنها آنذاك فقط تعود إلى مكانها

الأول . . إلى « براهما » وتفنى فيه (١) .

(د) كتاب الهندوسية المقدس : للهندوس كتاب مقدس اسمه (الفيدا) وهذا الكتاب يعد سجلا للهندوس بما لديهم من معتقدات وعبادات وتقاليد وعادات ونظم حياة وتاريخ وخرافات وأساطير وهم يعتقدون أنه كتاب أزلي غير مخلوق .

والمحققون من الباحثين يرون أن هذا الكتاب قد اشترك في تأليفه أجيال من الكهنة والشعراء والحكماء على مدى ما يقرب من عشرين قرناً ، فهو لم يؤلف في وقت واحد ، ولم ينفرد بتأليفه شخص بعينه .

(هـ) الاحتفالات الدينية لدى الهندوس : يقيم الهندوس احتفالاتهم الدينية في صورة تبعث على الهيبة ، فهم يحضرون التمثال ويدهنـــونه بالزيت والعطور ويكسونه أجمل الملابس ويزينونه بأغلى الجواهر ، ويضعون أمامه أطيب الأطعمة والأشربة ويعاملونه كأنه شخص حي يحس ويرى ويسمع ، ويمرون أمامه في خشوع وظهورهم منحنية حيث تصدح الموسيقى وتغنى الأناشيد .

وإذا أراد الشخص الصلاة فإنه يجب عليه أن ينظف نفسه ويقلل من الطعام والشراب أو يصوم ، ويجلس أمام التمثـال في خشوع وهو يشير بإصبعه إليه ، ويحبس أنفاسه ما أمكنه ذلك .

(و) عبادة البقرة : والهندوس يقدسون البقرة إلى درجـــة العبادة ، ويحرمون قتلها أو ذبحها أو إيذاءها — وهم يعللون ذلك بأن البقرة تمدنا بلبنها في جميع الأوقات راغبة طائعة بدون شكوى ولا تذمر — فهي رمز العطاء

---

(١) د . أحمد شلبي : أديان الهند الكبرى ص ٦٤ .

والإيثار — وهو تعليل فى غاية السذاجه والسخف .

(ز) وحدة الوجود : الهندوسية تقول بوحدة الوجود — ومعنى وحدة الوجود فى الهندوسية أن جميع الكائنات صدرت عن « براهما » وأن روحه سرت فى جميع الكائنات — فالموجود الحقيقى هو « براهما » وحده — أما هذه الكائنات فهى مظاهر لبراهما وليس لها وجود حقيقى .

وقد سرت هذه النظرية إلى بعض المتصوفة من المسلمين مثل محي الدين ابن عربى ، والحلاج — وهى نظرية هندوسية الأصل (١) .

(ح) العبادات والشرائع عند الهندوس : عقيدة الهندوس فى الاتصال ببراهما والفناء فيه كانت المحور الذى تقوم عليه عباداتهم وشرائعهم ، فهم يعملون على تعذيب الجسد وارهاقه بالصوم والرياضات الروحية وألوان من الزهد والتقشف من أجل تعذيب الروح حتى تطهر من الشرور والآثام . وتكون أهلا للاتصال ببراهما والفناء فيه .

والصوم عندهم امتناع عن الأكل والشرب والجماع . أما الصلاة فهى دعاء وتمجيد لبراهما ، وسجدة واحدة على الابهامين ملتصقين ومتجهين نحو الشمس — والشمس عندهم هى القبلة أينما وجدت — إلا إذا كانت جهة الجنوب ، فإن هذه الجهة لا يفعل فيها أى خير .

والحج عندهم فرض على الكهنة فقط . أما على العوام فهو تطوع — وهم يحجون إلى الأماكن المقدسة عندهم ، وإلى التماثيل والأنهار المطهرة حيث يقدمون القرابين والهدايا إلى التماثيل ويصلون أمامها ويخدمونها ويغتسلون فى الأنهار

---

(١) د . على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٦٣ .

المطهرة ، ويكثرون من الصوم والدعاء والصدقة — خاصة على الكهنة والسدنة — ثم يحلقون رؤسهم ولحاهم ويعودون إلى بلادهم (١) .

(ط) الزواج : الزواج عندهم واجب على كل قادر وينظرون إلى الأعزب على أنه عضو فاسد ، ويعتقدون أن الشخص الذى يموت ولم ينجب فإن روحه تتخبط كما يتخبط المصروع ومن شريعتهم فى الزواج أنه يباح الاستيلاء على المرأة بالقوة للزواج منها كما يباح أن ينسب الولد إلى جده لأمه إذا اشترط ذلك فى عقد الزواج — ويباح عندهم للمرأة أن تعاشر زوج أختها لتحمل منه ، وذلك إذا كان زوجها عقيماً — ويباح أن يشترك عدة أزواج فى امرأة واحدة وخاصة إذا كانوا أخوة ـ كما يباح عندهم تعدد الزوجات .

ويباح أن تعاشر المرأة رجلا قوياً نجيباً لكى تنجب منه ولداً نجيباً إذا أذن زوجها لها بذلك (٢) .

(ى) الأخلاق : ورغم هذا التحلل فى العلاقات الجنسية ، إلا أننا نجد الاخلاق الهندوسية تحتوى على كثير من الفضائل التى جاءت بها الأديان السماوية : كالصدق والإيثار ومقابلة الإساءة بالإحسان وحب الناس ، وإرشادهم إلى الخير والسعى فى مصالحهم ، والتواضع والتسامح ، والميل إلى الزهد والتقشف وتحريم القتـــل .

---

(١) د . أحمد شلبى . المرجع السابق ص ـ د . عمارة نجيب : المرجع السابق ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٢) د . عمارة نجيب . المرجع السابق ص٢٠٣ نقلا عن : د . على عبدالواحد وافى : الأسرة والمجتمع ص ٧١ - ١٢٤ ، والبيرونى ص ٩٧ - ٩٨ .

البوذيــة

Buddhism

1 ـ نشأتها:

وهي مجموعة من التعاليم أو الفلسفة الأخلاقية، نشأت في الهند في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، ومنها انتشرت عن طريق البعثات التبشيرية إلى البلدان المجاورة كالصين واليابان، وبلاد الهند الصينية وغيرها، حتى أصبح عددهم عن (260) مليون نسمة. وهي واحدة من الديانات العالمية، قامت على أساس نبذ الديانة البرهمية وإزالة الفوارق الطبقية في المجتمع الهندي، والاحتجاج على تعاليمها ومبادئها.. ثم تطورت إلى حركة دينية واسعة قائمة بذاتها...

يرجع تأسيس هذه الديانة إلى «بوذا» وهو الأمير «سيد هارتـاغوتـاما» (563-483 ق. م) وأساس آراء البوذية أن حياة الإنسان شر وألم وأن التخلص من هذا الألم لا عن طريق النيرفانا أو النعيم الأبدي. والبوذية ليست ديناً بالمعنى الدقيق لكلمة دين، وإنما هي رياضة روحية منسقه ومنظمة، بل هي واحدة من أعظم الرياضات الروحية التي عرفت عبر التاريخ.. مذهبها الأخلاق الفاضلة. وإصلاح المجتمع وتخنيف ما فيه من شقاء وآلام. وهي توفر للفرد كل الوسائل التي يسمو بها طريق المعرفة إلى المثل الأعلى.. وقد ألغت نظام الطبقات في الديانة البرهمية وجعلت الناس سواسية يتفاضلون عن بعضهم في المواهب

ويتساوون في الحقوق، ولا فرق بين شخص وآخر نسبه أو طبقته. ولكن الفرق بينهما بالموهبة والقدرة والعمل، فقد أزال بوذا الفوارق الطبقية، وتلاقى الناس في مذهبه عند الوحدة الإنسانية من غير اعتبار للاختلاف العنصري. ولا فضل لأحد إلا بالمعرفة وسيطرة الإرادة الإنسانية سيطرة تامة..

ويعتقد كل بوذي أنه قادر على أن يملك طريق بوذا عن طريق التأمل وعمق التفكير من خلال المراحل المتتابعة للاستنارة حتى يصل في النهاية إلى الحكمة الكاملة..

2 ـ تعاليم البوذية:

يوصي بوذا أتباعه بالتغلب على الغضب بالشفقة، وعلى الشر بالخير، وعلى الكراهية بالحب، وعدم إلحاق الأذى بأحد، وتؤكد تعاليم بوذا على الاعتماد على النفس وصدق العزيمة، ويؤكد لأتباعه، بأنه ليس من أحد في الأرض ولا في السماء قادر على أن يمد لهم يد العون أو ينجيهم من نتائج أعمالهم السيئة، فالكل مجزي بعمله..

ويمكن تلخيص تعاليم بوذا بالحقائق النبيلة الأربع التالية وهي:

1 ـ أن الحياة معاناة: يتبين لنا من خلال تجاربنا الخاصة بأن الحياة لا تخلو من المعاناة. وهذه المعاناة سببها الشقاء، ومصادر الشقاء في العالم سبعة هي: الولادة، الشيخوخة، المرض، الموت، مصاحبة العدو، مفارقة الصديق، الاخفاق في التماس ما تطلبه النفس. وهذه كلها من مظاهر المعاناة التي تعد جزءاً من أسلوب حياتنا العامة وفي هذا المجال يقول بوذا: «إن سر هذه المتاعب كلها هو رغبتنا في الحياة وسر الراحة هو قتل تلك الرغبة».

2 ـ والحقيقة الثانية: هي الأصل في منشأ المعاناة، وعدم وجود السعادة، وهي ناجمة عن التمسك بالحياة. يقول بوذا: «إن منشأ هذه المعاناة الحتمية يرجع إلى الرغبات التي تمتلىء بها نفوسنا للحصول على أشياء، خاصة لنا، إننا نرغب دائماً في شيء ما: مثل السعادة، أو الأمان، أو القوة، أو الجمال، أو

الثراء..». أي أن سبب الشقاء وعدم السعادة هو: الأنانية الإنسانية وحب الشهوات والرغبات.

3 ـ والحقيقة الثالثة: هي حقيقة التخلص من المعاناة، ولا يتم إلا بالكف عن التعلّق بالحياة والتخلص من الأنانية وحب الشهوات والرغبات الجامحة في نفوسنا.. وتسمى هذه الحالة «النيرفانا» أو الصفاء الروحي.

4 ـ والحقيقة الرابعة: وهي أن طريق التخلص من الأنانية والشهوات ومتاع الدنيا يوجب على الإنسان اتباع الطريق النبيل ذي الفروع الثمانية، وهي:

(أ) الإدراك السليم للحقائق الأربعة النبيلة.

(ب) التفكير السليم الخالي من كل نزعة هوى، أو جموح شهوة، أو اضطراب في الأماني والأحلام.

(جـ) الفعل السليم الذي يسلكه الإنسان في سبيل حياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك والعلم والحق.

(د) الكلام السليم أيّ قول الصدق بدون زور أو بهتان.

(هـ) المعيشة السليمة القائمة على هجر اللذّات تماماً، والمتطابقة مع السلوك القويم والعلم السليم.

(و) السلوك السليم.

(ز) الملاحظة السليمة.

(حـ) التركيز السليم.

وقد وصف بوذا هذه الفروع الثمانية بقوله المشهور «يجمعها كلها السير في الطهارة»، إن هذا الطريق بفروعه الثمانية يؤدي إلى الراحة، والمعرفة، والسعادة، والتحرر من الألم والشقاء. وقد اتخذت عجلة المبادىء البوذية هذه رمزاً للبوذية. وتمثل محاورها الطرق الثمانية التي توصل من يسلكها إلى النيرفانا. ويمكن تلخيص هذه الحقائق في ثلاث مجموعات أخلاقية هي:

1 ـ السيلا: ومعناها السلوك الأخلاقي، وتتطلب قواعدها: عدم الكذب

أو السرقة أو القتل أو السماح بمزاولة مهنة غير شريفة كبيع الأسلحة والممنوعات.

2 ـ السماد هي: ومعناها التأمل وتدريب العقل للسيطرة على الأفكار بالسهولة نفسها للسيطرة على الأفعال والأقوال وعلى كيفية تركيز الفكر على موضوع معيّن.

3 ـ البراجنا: ومعناها الحكمة، وهي نتيجة لما يُبذل من جهد في سبيل تحقيق السيلا والسمادهي.

3 ـ ما هي النيرفانا؟

وهي كلمة متعددة المعاني والقصد، فهي تعني الاندماج في الوحدة الشاملة، أو الصفاء الروحي، أو الهدف الأسمى، أو الملاذ الأعلى..

ويقال بأنّها الاندماج في الله والفناء فيه ـ مع العلم أن البوذية لا تؤمن بإله مطلقاً ـ وهي المرحلة التي يصل إليها البوذي في حياته عندما يتحرر تماماً من دورة العودة إلى الحياة أي بعد أن يتجرد من كل أمانيه وجهالاته. وعندما تتكسر جميع القيود التي تكبّل الإنسان وتمنعه من الوصول إلى درجة الكمال الإنساني، وعندما تتحطم قيود الشهوة ويصبح الإنسان في صراط القديسين ويتحرر من كل القيود: كالرغبة في البقاء، والكبرياء، والاعتداد بالنفس، والجهل، يصل إلى النيرفانا.

فالذات أو النفس لا وجود لها في تعاليم بوذا. فإذا مات الجسد زالت الأماني وتلاشت الرغبات. وكل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته حتماً. وكل عمل يقوم به البوذي في طور من أطوار الوجود المتكررة «التناسخ» تقرره الأعمال التي يأتيها في الوجود الأسبق، وهي بمثابة كفارة.. فالنيرفانا في حد ذاتها اذن ليست موتاً، بل هي حالة في السلام المقيم والقداسة الكاملة، والتجرد من الأماني والرغبات. ومن كل الأشياء التي تغري الإنسان بالتشبث بهذا الكيان لمستقل. وهي جنة البوذيين التي ينعمون فيها بعد مرورهم في الطريق الوسط ذي الشعب

الثمان. . ويعتقد بوذا أن الذين يبلغون «النيرفانا» في جهادهم الأخلاقي قليلون جداً. . .

4 ـ مبادىء البوذية:

(أ) **التناسخ**: «التقمص» تؤمن البوذية بالتناسخ وحلول الأرواح في أجساد أخرى ويزعم البوذيون أن زعيمهم بوذا قبل أن يصبح الرجل المستنير تقمصت روحه (530) جسداً منها (42) حالة تقمص في أجساد آلهة، و (80) حالة في أجساد ملوك وأنه في بعض فترات التقمص ربما كان لصاً، أو مقامراً، أو حصاناً، أو ثعباناً، أو ضفدعة!! ولكنه مع ذلك كان في كل هذه الدورات عاقلاً حكيماً. ويعتقد البوذيون أن الموت الجسدي لا يُنهي وجود الإنسان، فالميت يبعث من جديد في شخص آخر أو في إله أو في حيوان. . والتقمص من وجهة نظر التعاليم البوذية الأخلاقية ليس خيراً، وإنما هو شرّ،لأن الوجود كيفما كانت صورته فهو عذاب وألم، وإذا الإنسان لم يتغلب على آلامه الدنيوية فعليه أن يهجر كل ملذاتها. ولكن هل ينتهي بالموت الجسدي كل ألم أو عذاب؟؟. .

تُعرِّف البوذية الموت بأنه «نهاية مؤقتة لظاهرة مؤقتة»، وأنه ليس إفناء كاملاً للإنسان، والبوذي المؤمن يعدّ الوفاة حادثة وقتية وهي مرحلة انتقال بين حياتين.

ويعود سبب التقمصات الحديثة إلى التعلق بالحياة الدنيا، أما التوقف عن التناسخ فمقتصر على كل من يتحمل كافة الآلام برضى واستكانة، ويقطع كل صلاته بالحياة الدنيا، ويتخلى عن كل رغباته وأهوائه لكن بوذا يقول: إن الحياة في وجود مستمر، وإن الأرواح في تناسخ مستمر إلى ما لا نهاية. . .

(ب) **الروحانية في البوذية**: لم تتعرض تعاليم بوذا للألوهية من قريب أو من بعيد، لا بالنفي ولا بالتأكيد، وكانت فكرته عن الدين خُلُقِيَّة صرفة، تقتصر على سلوك الناس دون اهتمام بالطقوس الدينية وشعائر العبادة أو باللاهوت وما وراء الطبيعة، حتى ساءت علاقته مع رجال الدين. . ورفض بوذا نظام الطبَقية، ومبدأ التضحية في سبيل الآلهة، وآمن بوذا بمبدأ التقمص كطريق لتحقيق النيرفانا والحصول على السعادة الكلية بعد الموت. وقد اهتمت البوذية ببث

التعاليم الخلقية، فحثت على طهارة النفس وتجنّب الشر، واتباع السلوك الحسن، والحياة النظيفة وحب الخير وانكار الذات، وقد عارضت السحر والخرافات التي كانت جزءاً من بعض الديانات الهندية القديمة...

لم يكن بوذا إلهاً ولم يدّع الألوهيّة، حتى أنه لم توجد أية آلهة في الديانة البوذية، ولكن الناس في الهند اتخذوا من بوذا إلهاً بعد موته.. وأخذوا يعبدونه، ويقيمون له الهياكل والتماثيل الضخمة، كالتمثال الذهبي في بانكوك [illegible]، الذي يعترف النسّاك بذنوبهم أمامه. وقد زعم بعض الكهنة ألوهية بوذا، وقالوا: إن الإله الأعظم تجسّد فيه ليخلّص العالم من خطاياه، ويمنح الغبطة للحزانى. والراحة للمتعبين. مع أن بوذا نفسه كان يوصي أتباعه قائلاً:

«لا تؤمنوا بي كممثل لله على الأرض، ولا تعتبروني إلهاً، فإنما أنا إنسان مثلكم أنشد الحقيقة الأبدية فإذا كان كلامي موافقاً للعقل والمنطق فاتبعوني».
يقول بعض المؤرخين إن بوذا أنكر وجود إله قد أنشأ الأكوان. بينما يقول آخرون إن جميع أتباع بوذا ومنتحلي ملته كانوا يؤمنون بقوة مسيطرة على العالم. وإجمالاً نقول إن البوذية لم تهتم بالبحث عما وراء الطبيعة من حيث وجود الخالق والروح والملائكة. ويعترف بوذا نفسه بأنه لا يدري عن الإله شيئاً. ولم يحاول قط أن يخوض فيه، وقد أنكر الصلاة، وأكدّ عدم جدواها...

5 ـ الرذيلة في البوذية:

إن طريق الفضيلة هو طريق الخلاص من الآلام والشقاء، ومن الأنانية والشهوات، وهو سلوك الصراط المستقيم، أي اتباع الطريق النبيل بفروعه الثمانية. أما الرذيلة عندهم فمنشؤها اللذات والانهماك فيها وما تدعو إليه، وترجع الرذائل إلى أصول ثلاثة:

1 ـ الاستسلام للملذات الذي يجعل الحياة كلها في ألم مستمر وشقاء دائم.

2 ـ سوء النية في طلب الأشياء، الذي يولّد الغش والكذب والنميمة، من

أجل الوصول إلى تحقيق الغرض الفاسد الذي يمكّن اللذّة في القلب واستيلائه عليه.

3 ـ الغباء، وعدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح، وهذا ناجم عن سيطرة الشهوات على النفس، حتى أن العقل لم يعد يرى إلّا ما تعكسه الشهوات عليه...

وتنص كتب البوذية على عشر رذائل، جاء النهي عنها على شكل وصايا.

6 ـ الوصايا العشر البوذية:

1 ـ لا تقتل أحدا. 2 ـ لا تسرق، ولا تغتصب، ولا تأخذ ما لم تُعْطَ. 3 ـ لا تكذب. 4 ـ لا تشرب خمراً، ولا تتناول مسكراً. 5 ـ لا تزنِ، ولا تخالف العفّة. 6 ـ لا تأكل طعاماً نضج قبل أوانه. 7 ـ لا تتخذ طيباً، ولا تكلل رأسك بالزهر. 8 ـ لا ترقص، ولا تحضر مرقصاً، ولا حفل غناء. 9 ـ لا تقتن فراشاً وثيراً، ولا أرائك فخمة، ولا وسائد، ولا حشايا وثيرة. 10 ـ لا تأخذ ذهباً ولا فضة...

هذه الوصايا التي يأخذ بها البوذي حتى يروّض إرادته على ترك الملذات، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات، وتخفيف ويلات الحياة، وعدم الإقدام على أن يملك شيئاً، وأن لا يقتني شيئاً فهو يطلب طعامه يوماً بعد يوم، ولا يدّخر من يومه إلى غده، ويصرف ما في الجيب حتى يأتيه ما في الغيب...

7 ـ الكتب المقدسة عند البوذيين:

هي كتب ليست منزلة، ولا يدّعون تنزيلها، ولا ينسبون ما جاء فيها إلى وحي أو جانب إلهي، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا قولاً أو فعلاً، أو نقل ما أقرّه أتباعه من أقوال وأفعال.

وتختلف نصوص كتبهم بسبب انقسامهم في نِحَلِهم، وقد تفرقوا إلى فرقتين. وهم:

1 ـ أهل المذهب الشمالي «المهايانا»: وتعني العجلة الكبيرة. وقد دوِّنت كتبهم باللغة السنسكريتية، وانتشرت انتشاراً كبيراً، عدلت فيها البوذية القديمة، وجعلتها قريبة من فهم معتنقيها وأساس هذه العقيدة المهايانية: أنها تمثل كائناً سامياً خالداً، أي تمثل «بوذا مطلقاً» يظهر في القديسين في أجيال مختلفة، وانتشرت في الصين في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد. كما انتشرت في اليابان والتيبت والنيبال وغيرها.

2 ـ أهل المذهب الجنوبي «الهينايانا»: وتعني العجلة الصغيرة. وقد دوِّنت تعاليم بوذا في اللغة الباليّة القديمة، وسمي الشرع باسمها: «الشرع البالي». كما وصفه بوذا.. وتعد هذه النصوص الأصح نسباً والأصدق قولاً، والأكثر بعداً عن الأوهام، وتنتشر في الهند ـ الصينية وسريلانكا وغيرها.. وتأتي الكتب البوذية إجمالاً في ثلاثة مجموعات هي:

(أ) الكتب التي تشتمل على مجموعة قوانين البوذية، ومسالكها ونظامها، وقد جمعت سنة (350 ق.م) وهي ثلاثة أقسام. أولها: يتضمن العقوبة المفروضة على البوذي لما يقترفه من ذنوب ومخالفات وفيه 127 فقرة. ثانيها: يتضمن التعليمات الواجب اتباعها لتربية النفس على ما يدعو إليه البوذيون، وفيه قرارات المجالس البوذية المنعقدة في ما بين سنتي (380-320 ق. م). ثالثها: يتضمن خلاصة القسمين السابقين ليكون في متناول الناس، وفيه خلاصته للسلوك القويم الذي يدعو إليه البوذيون.

(ب) الكتب التي تشمل على مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا ووصاياه. ومجموعة من الأحاديث والقصص والأشعار والأمثال، مكتوبة في لغة سهلة توضح التعاليم البوذية، وفيها الحقائق الأربعة والمبادىء الثمان...

(جـ) الكتاب الذي يحتوي بيان أصل المذهب والفكرة التي نبع منها، والفلسفة التي قامت عليها الديانة البوذية، والأصل الذي استُنبطت منه تعاليمها، وفيه بحوث تدور حول الخير والشر، واللذة والألم، فهو كتاب الشرع والتعليقات التي وضعها العلماء البوذيون

وقد ترجمت هذه الكتب إلى اللغات الحية. لما فيها من كلمات غنية بمعاني الأخلاق والسلوك القويم وهي تقدم دليلاً مرشداً في كل نواحي النشاط الفكري والخلقي والروحي..

8 ـ فروع البوذية:

بالرغم من صعوبة اتباع تعاليم بوذا، فقد انتشرت في معظم آسيا. وبعد وفاة بوذا سنة (483 ق.م) انقسمت البوذية إلى فرعين:

(أ) هينايانا **Hinaiana** أو العجلة الصغيرة، وقد اتخذت مركزها في سريلانكا، كما انتشرت في الجنوب في بورما، وسيام ولاوس كبوديا، وغيرها.. ويرتدي كهنتها ثوباً أصفر اللون، ويحلقون رؤوسهم وعليهم الالتزام بعدد من القواعد الكهنوتية شديدة التعقيد. مثلاً: لا يُسمح لهم تناول أي طعام بعد منتصف النهار، ولا يسمح لهم بحمل أي نقود أو ملكية، وهي أصفى أشكال البوذية. وأتباعها يعتبرون أن بوذا ليس إلا مجرد رجل وضع بعض القواعد للسلوك، وهو ليس إلهاً يُعبد. ولا تزال توجد في سريلانكا أشهر آثار بوذا وهو إحدى أسنانه...

(ب) ماهايانا **Mahaiana**: أو العجلة الكبيرة، وانتشرت في الشمال نحو منغوليا والتيبت والصين واليابان وجاوه وسومطرة وغيرها.. وهي شكل منحرف للبوذية، وأتباعها يعتبرون بوذا إلهاً. ويعبُدون الروح التي ألهمت بوذا، وهم يؤمنون بالملائكة والشياطين، وتؤمن بعض طوائفهم بوجوه الجنة والجحيم، وأنه لا بد من مرور الروح بهما قبل أن تصل مرتبة «النيرفانا» وتعددت المذاهب البوذية عند أهل الشمال مثل مذهب «اللاّما» في التيبت، وكهنة «الزن» في اليابان..

9 ـ المذاهب البوذية:

(أ) مذهب اللامية: كان من معتقدات أهل التيبت الأسطورية قبل دخول البوذية إليهم أن جدهم «ملك القرود» الذي ورثوا عنه الحنوّ والذكاء والإخلاص. وأن جدتهم «الغول» التي ورثوا عنها القساوة والشهوة وروح

التجارة والجندية وأكل اللحوم. . وأن لديهم طبقة من الكهنة يغلب فيهم الدهاء والرياء مع غشاء من الديانة البوذية، ومن تحته الخرافات الوثنية مع شيء من اللاميّة الخاصة في بلاد التيبت. واللامية فرع من الديانة البوذية انتشرت في مناطق التيبت ومنغوليا، منذ القرن السابع الميلادي وتوطدت فيها في القرن الثامن على يد الراهبين البوذيين الهنديين وهما: سانتا راكستيا، وبادما سامبهابا، اللذيْن ساهما في نشر مبادىء البوذية في بلاد التيبت، ومن امتزاج البوذية بالمعتقدات المحلية نشأت اللامية.

وتعد اللامية ديانة مفتوحة للجميع لا تعترف بأي تمييز عرقي أو طبقي، وفيها مذهب مفصّل في «الخطايا العشر السود» وفي «الفضائل العشر البيض». ينظم جوانب حياة المؤمن، وتتوزع الخطايا إلى خطايا الجسد. ومنها القتل والفجور واستيلاء الإنسان على ما ليس له. وخطايا اللسان ومنها: الكذب والافتراء والهزء والتفوه بكلام السوء. وخطايا الوعي ومنها: الحسد والحقد والبدعة. تقابلها أشكال الجزاء الذي ينتظر المذنب. .

أما الفضائل: كالرحمة والإحسان والصدق والاعتدال والإيمان بالدين الحق، فتثاب بخير تناسخ بالخلاص الأخير «النيرفانا».

واللامية عدة طوائف منها: الطائفة الحمراء، وطائفة الزهر، والطائفة البيضاء، والطائفة الصفراء ولكل منها ميزات خاصة يميزها لون الثوب والطاقية والأشياء التي تزين معابدها عن المعابد الأخرى وتعد الطائفة الصفراء هي الأقوى وتتمتع بأكبر عدد من المؤيدين، وكانت قد تأسست في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي بوساطة: تسونغ خابا (1357-1419 م) وتحت قيادة حوارييه الاثنين: دالاي لاما في لهاسا، وباين فن. . وتعدّ مدينة «لهاسا» مركز ديانة أهل التيبت ويحجون إليها لكثرة ما فيها من الأديرة وبيوت العبادة البوذية، فيؤمها الحجاج من أقصى البلاد حتى منشوريا وهملايا. وأكثرهم يجيئون ملتمسين غفران خطاياهم من «بوذا الحي»، ويتوسلون إليه أن يُعِدَّ لهم تقمصاً سعيداً، ثم يعودون إلى بلادهم بالآثار المقدسة والذخائر المباركة كالأصنام الصغيرة ونحوها ولذلك كثر باعة هذه الأحجار هناك. وهم يخدعون البسطاء

بأنها من بقايا بوذا أو من أظافره أو عظامه أو من عصاه أو من بيته . .

أما مدينة لهاسا و «أرض الإله» فهي واقعة في سهل على ارتفاع (4000 م) عن سطح البحر في بلاد التيبت، تحيط بها الجبال وهي مستديرة الشكل قطرها حوالي ميل واحد، وكان يحيط بها سور كبير بني في القرن السابع عشر الميلادي وقد تهدم عندما احتلها الصينيون عام (1720م).

(ب) **البوذية في الصين**: انتقلت البوذية من الهند إلى الصين على يد المرسلين الهنود والحجاج الصينيين الذين ذهبوا إلى الهند وعادوا محمّلين بالرسالة البوذية.

وكانت قد دخلت الصين في سنة (76 م) في الفترة الأولى لأسرة «هان» الشرقية. ثم انتشرت في القرن الرابع وما بعده، عندما سافر راهب يدعى «فاشيان (337-422 م) من أسرة «جين» الشرقية باتجاه الغرب باحثاً عن التعاليم البوذية، وقد استغرق سفره مدة أربعة عشر عاماً، زار خلالها ثلاثين بلداً، منها الهند وسيريلانكا. . وكان أول راهب صيني يدرس في الهند، وعاد مصطحباً معه عدداً جيداً من مختارات الأدب البوذي المكتوب بالسنسكريتية، ثم تبعه بعد ذلك عدد كبير من الرهبان لدراسة البوذية في الهند بينما كان المبشرون الهنود من البوذيين يتوجهون إلى الصين لنشر البوذية فيها. . ولكنها بعد أن استوطنت في الصين طرأ عليها بعض التبديل والتغيير وكانت قد تحولت إلى ديانة مادية . .

فالبوذية الهندية: لا تؤمن بإله ولا إله لها ولكنها في الصين أخذت تميل إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة وبوذا واحد منها. ومن أشهر الشخصيات عندهم «كوان بن» وهي عندهم إلهة الرحمة، يرفعون لها الابتهالات في المعابد البوذية. وأصبحت البوذية ديناً يدعو الناس إلى الإيمان الحق بآلهة تغين البشر في أعمالهم وتَعِدُهم بجنات ذات أزهار ورياض. كما أن فكرة النيرفانا زالت من بوذية الصين وحلّت محلها فكرة الفردوس المادية. وفيه تنعم النفس بالحديث مع الشخصيات الإلهية حتى أن البوذي نفسه لا يفقه شيئاً من معاني النيرفانا الهندية إلا أنه يعتقد أنّه سيذهب بعد الموت إلى فردوس في بلاد المغرب. . حتى الصلوات لا وجود لها في البوذية الهندية التي شرعها بوذا

نفسه. بينما هي ذائعة في البوذية الصينية.. وقد زاد التبادل الثقافي بين الصين ووسط آسيا وجنوبها بصورة مستمرة، فقد توجه في سنة (629 م) الراهب «ستيوان تصانغ» (602-664 م) من مدينة تشانفان «شيآن اليوم» إلى الهند، وبعد ست عشرة سنة عاد إلى مدينته بعد أن ترجم 1335 مجلداً وخمس وسبعون مجمـوعة حِكَم بوذية إلى اللغة الصينية.

واستمرت البوذية في الصين حتى بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية التي عملت على احترام معتقد البوذية، وبدأ بترميم عدد كبير من المعابد والأبنية والآثار المقدسة للبوذيين وقامت بنسخ التعاليم البوذية والألواح الخشبية البوذية المنحوتة وأقامت التماثيل وكلها تحظى برعاية الدولة ورضاها.. وفي (1953 م) أنشئت الجمعية البوذية الصينية في بكين ومهمتها الرئيسية هي الاتحاد مع البوذيين في كل البلاد وإقامة الصلات بينهم وترتيب تعاليم البوذية. وثقافتها ودراستها. وزيادة روابط الصداقة بين البوذيين في الصين وأنحاء العالم... كما أقامت الجمعية الصينية البوذية علاقات وصِلات مهمة مع منظمات وشخصيات بوذية في أكثر من عشرين بلداً. وقد بعثت في كثير من المناسبات الوفود لحضور المؤتمرات البوذية العالمية وقامت بالاحتفال بالذكرى 2500 لميلاد بوذا وحضور مؤتمر السلام للدوائر الدينية في اليابان وغير ذلك.

(ج) البوذية الزينية في اليابان Zen: تعني كلمة «زين» في اليابانية، التأمل والتركيز، وهي إحدى الفرق الدينية التي خرجت من البوذية الصينية في القرن السادس الميلادي، وهي شكل معدّل منها. ظهر في الصين لمعارضة تقديس النصوص البوذية.. ويطرح أتباعها تجربة الإنسان الروحية الشخصية وتعد القدرة على الرؤيا المباشرة أحد المبادىء الأساسية في البوذية الزينية. وهي تعد «البوذا الأعظم» رمز الاستنارة الأبدية، التجسيد الشامل لكل الكائنات متمثلاً في أوضاع مجسّمة مختلفة.. وتوجد أشكال مختلفة من أخلاق البوذية الزينية. لكن هناك قواعد ثابتة بينها تعود إلى التعاليم الأخلاقية البوذية، منها: عدم إضمار الكراهية والحقد. والحفاظ على الطمأنينة النفسية والهـدوء، والتخلي عن الرغبات، قهر قوة الأشياء بوصفها أموراً عابرة لا تستحق اهتمام الإنسان، والسعي

لبلوغ الحكمة السامية، حكمة منّ وقف على قانون الحياة، ونزع عنه كل قيود الوجود الفاني. لقد تفشّى وباء الجدري في اليابان عام (735 م) وقضى هذا الوباء على بعض أفراد الأسرة الحاكمة. وكان لا بد من استرضاء الآلهة وبخاصة بوذا وقديسيه، فهم الذين حلّوا محلّ الديانة الشنتوية القديمة وعبادة الأرواح. ولهذا قرر الامبراطور «شومو Shomo» (724-749 م) إقامة تمثال عملاق من البرونز للإله بوذا بعد أن نجحت فيها أكبر نجاح، حيث اعتنق اليابانيون البوذية من الامبراطور حتى العامل الفقير... وأقيمت التماثيل لبوذا وبُنيت المعابد الكبيرة. كان دخول البوذية إلى اليابان بوساطة الراهب «جيان تشن» (688-763 م) من أسرة تانغ، عندما قدم من الصين بدعوة من بوذيي اليابان، ونجح في دعوته عندما رحل إلى جزيرة كيوشيو عام (753 م). وكان برفقته مهندسون وأطباء وفنانون يحملون معهم كتباً وأسفاراً ضخمة وأعمالاً فنية عديدة...

بدأ هذا الراهب بنشر المبادىء البوذية ويعلمها في مدينة «نارا» عاصمة اليابان حينذاك وكان لهم دور هام في إقامة التبادلات الثقافية بين الدولتين ـ الصين واليابان ـ.

وما زال معبد «توشوداي» في نارا الذي بني تحت اشرافه وإرشاده كما بُني، حتى يومنا هذا.

10 ـ بوذا Buddha (563-483 ق.م) سيد هارتاجوتاما Gautama:

(أ) نشأته وحياته:

ولد بوذا في عام (563 ق.م)، في نيبال من بلاد الهند على بعد 130كم شمال مدينة «بنارس» في بلدة تدعى «كابيلافوستا»، وكان أبوه «راجا» أي زعيماً لمقاطعة «ساكيا» في سهل الغانج، وهو من كبار الأغنياء. وقد دارت كثير من الأساطير حول شخصية بوذا، فقد زعموا أن أمّه بُشِّرت به في المنام، وأن ولادته سبقتها معجزات، وأن الإله حلّ فيه، وأن حياته أحيطت بالكثير من المعجزات والأساطير.

تربّى بوذا في جو من البذخ والترف، ولا يعرف شيئاً عن الفقر والبؤس، وقد توفرت له كل وسائل الحياة والمسرات في قصره وحدائقه الغنّاء وكانت أمّه «مايا» ابنة أحد الملوك المجاورين وعندما حملت به أمه أرادت أن تنتقل إلى مقر أبيها لتضع حملها حسب العادة في ذلك الزمان. ولكن المخاض فاجأها في الطريق، فوضعت طفلها في ظل بعض الأشجار في الغابة، ونشأ الطفل وترعرع في قصره وسط مباهج الحياة، وتوفرت له كل وسائل الحياة والمسرّات حتى أنه لم يكن يعرف في الدنيا غير ذلك.

ماتت أمّه وهو طفل صغير. ونشأ في قصر أبيه وقضى سنوات طفولته الأولى فيه حتى بلغ اثنتي عشر عاماً، وكان قوي البنية، فسمّوه «ساكيا» وتعني القوي. ثم عهد به والده إلى كبار الكهنة ليعلّموه أسرار الديانة البراهمية، اضافة إلى ما ينبغي أن يتعلمه أمير سيخلف أباه يوماً على العرش، وظهرت مواهبه العقلية والفكرية فلقّبوه «ساكيا الحكيم».

ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره، تزوج من ابنة عمه الجميلة الفاتنة «يازود هارا» وعاش معها حياة سعيدة، ولكنها كانت عاقراً، وبدأ الأمير يحس أول لدغات الألم والحرمان، فأخذ يسأل نفسه عن سر الحياة التي لا يستطيع أقوى الناس فيها أن يحصل على كل ما يريد، وأن يحقّق رغباته كلها.. بلغ بوذا التاسعة والعشرين من عمره، ولم يكن يعرف شيئاً عن آلام البشرية من فقر ومرض وشيخوخة. وكان يظن أن كل الناس يعيشون بمثل سعادته هو...

خرج ذات يوم من قصره العامر، بعربة متوجهاً إلى المدينة وسط الأحراش التي تحيط ببلدته مصطحباً معه تابعه «كانا»، فقابل لأول مرة في حياته شيخاً فانياً، أثقلت السنون كاهله وأحنت الأيام ظهره، فتأثر «جوتاما»، لمنظره منزعجاً، فهمس في أذنيه تابعه قائلاً: «هذه طريق الحياة يا مولاي». وبعد قليل، وهو في طريقه وقع نظره على متسوّل قد شوهه البرص، وهدّه الفقر والجوع والذّل، فهمس تابعه في أذنه مرة أخرى قائلاً: «هذه طريق الحياة يا سيدي». ثم وقع نظره على جثة شخص عارية ملقاة على الطريق وقد جافت

وتنتت. فأسرع «كانا» يقول لسيده الذي كاد يُغمى عليه من هول ما رأى: «هذه هي نهاية الحياة يا سيدي»...

هذه المناظر الثلاث جعلته حزيناً كئيباً لأنه اطلع لأول مرة على شقاء الناس وتفاهة الحياة، واصطدم لأول مرة بحقيقة كون العالم الذي يتضمن الآلام والمآسي الكثيرة.

ويقال بأن جوتاما شاهد هذه المناظر المؤلمة الثلاث في أحد الأحلام في أثناء نومه.

ولتوّه قرر بوذا محاولة اكتشاف المعاناة في هذا العالم، وكيفية التغلب عليها، فانسلّ خِلْسةً من قصره في الليلة نفسها، متوجهاً إلى الغابة حيث قضى عدة سنوات يدرس فيها على أيدي عدد من المعلّمين من نسّاك البراهمة الذين لقنوه كيف يؤدي تمرينات التأمل والتفكير والتقشف. ولكن لم يستطع أحد منهم أن يعلّمه الحكمة التي كان يبحث عنها، فقرر أن يسير منفرداً دون مساعدة أحد، وظل في حل وترحال محاولاً اكتشاف كنه الحياة والموت، والسعادة والشقاء حتى وصل إلى مكان في شمالي الهند يعرف باسم «بودجايا». حيث بقي جالساً تحت شجرة تين وارفة الظلال، سميت شجرة الحكمة، أو الشجرة المقدسة وقد أصبحت موضع تقديس عند البوذية واتخذوها لهم شعاراً. بقي تحتها بضعة أيام مستغرقاً في التأمل والبحث عن الحقيقة، إلى أن تكشّفت أمامه حكمة التنوير الرائعة التي أصبحت تعرف باسم «رسالة التنوير الكبرى».

وأشرق عليه نور الحق يُنبئه: أن شقاء الحياة وآلامها منبعث من رغبات النفس.

هذه هي التي يبحث عنها، والتي تعني وضع حدّ لآلام البشرية ومعاناتها، وأن الإنسان قادر أن يكون سيد رغباته وليس أسيراً لها...

(ب) هل كان بوذا نبياً؟؟

لم يدّع بوذا أنه رسول، أو نبي مرسل، بل كان ينهى أتباعه عن زعمهم

بأن الآلهة تتجسّد فيه. وكان يخبرهم أنه ليس إلاّ إنساناً عادياً يبحث عن الحقيقة وينشد للبشرية حياة أفضل خالية من الآلام والأحزان، وذلك عن طريق الأخلاق الفاضلة التي كانت عماد دعوته ومحور تعاليمه، حيث كان منذ البداية مصلحاً لا شارعاً.

كان بوذا عالماً وفيلسوفاً يفكر في أحوال الناس ومعيشتهم، وأسباب بؤسهم وشقائهم، وحاول الوصول إلى العلاج الحقيقي لإسعاد الإنسان ورفاهيته، وكان غرضه الحصول على السعادة من خلال السلام والحب، فهو يقول: «إن البغضاء لا تنتهي بالبغضاء، ولكنها تنتهي بالحب». فهو عندما قرر نبذ الحياة التي يعيشها، وتكريس نفسه بكل جوارحها للبحث عن الحقيقة، ترك قصره العامر وزوجته وطفله الرضيع بعد أن ألقى عليهما نظرة وداع أخيرة وهما نائمان، وخرج ولم يعد، واصطحب معه تابعه، وعندما وصل إلى شاطىء النهر، استلّ سيفه وقص شعره الطويل، وخلع ملابسه الوثيرة وحليه من الذهب والجواهر، وأعطاها لتابعه «كانا»، مقابل عودته، ليخبر زوجته وأهله بما استقر عليه رأيه، وتدثّر بقطعة من القماش الأصفر كما يلبس فلاحو عصره، وزهد في الحياة، مودّعاً الغِنى والترف، وبدأ بالصيام القاسي الذي استمر عدة سنوات. حتى أمات جسمه بكبْح الشهوات والتعذيب الذاتي، ولكنه أدرك أن تعذيب الجسم ما هو إلا قتْل وإضعاف للعقل دون أن يقرّبه من الحقيقة أو الحكمة التي ينشدها. فهو لم يجد السلام والسعادة الروحية في تعذيب جسده، لذلك عاد يأكل ويشرب كغيره من الناس، فانفض أتباعه من حوله، وبسبب هذا الانقلاب في حياته، وعاد وحيداً بعيداً عن كل أصحابه ومريديه الذين هجروه... وبدأ التفكير والتأمل العميق وهو جالس تحت شجرة الحكمة، يكافح الشك الوحدة، بين الفيافي والقفار والغابات... وإذا بسكينة وهدوء عظيم يهبطان عليه ويغمران قلبه... إنها لحظة (الإشراق).

لقد أيقن بعدها أن كل ما تعلّمه على أيدي الكهنة باطل لا أصل له... أن هناك حقيقة كبرى خَفِيت عنهم وعنه. وأيقن بطلان كل ما لقّنوه له من أن «براهما» هو الذي خلق العالم، وأنه هو الروح الأعظم والثالوث المقدس

«الخالق، والحافظ، والمدمّر». وأيقن أن العالم أزلي قديم لا أول له، ولا يمكن أن تكون له نهاية. كما أيقن أن الآلهة التي يعبدها قومه لا تملك القوة لتغيير قوانين الطبيعة التي لا تؤثر فيها الصلوات والقرابين، ولذلك فلا داعي لعبادتها أو تقديسها، وأن الفيدا وكتب الهند التي يقدسونها ليست مقدسة، وأيقن كذلك أن تقسيم البشر إلى طبقات أربعة هو تقسيم خاطىء، لا عدالة فيه، فالناس إما أخيار وإما أشرار، وليس الخير والشر بتفاوت الطبقات وعندما وصل إلى هذه اليقينات أصبح «بوذا» ومعناها المستنير أو المهدي...

وقد خُلِعَت عليه ألقاب عديدة بعد ذلك منها: العاقل، السيد، المعلم، الفاتح، القديس، سيد العالم، الواحد الأحد... وكثيراً ما كان يصفه «جواهر لآل نهرو» بأنه: ابن الهند الأعظم وعندما بدأ ينشر دعوته في مدينة «بنارس» وما حولها. التف حوله خمسة من المريدين، صحبوه طوال حياته. وراح يبشر بتعاليمه التي تتلخص في أن الاعتدال أو «الطريق الوسط» هو وحده طريق الخلاص من الآلام البشرية، فلا اغراق في الملذات والشهوات، ولا أسراف في تعذيب الجسد والروح بالجلوس على المسامير، أو النوم على شظايا الزجاج كما يفعل بعض الكهنة وفقراء الهنود... قال بوذا: «من يستطيع الادراك أن جميع المخلوقات تفنى، فقد تحرر من الشعور بالألم». لقد آمن به الحواريون الخمسة، وأرسلهم يبشرون الناس، وأوصاهم قائلاً: «إني متحرر من كل القيود البشرية والإلهية، فكونوا أنتم كذلك، سيروا من مكان إلى مكان رحمة للناس، ونعمة على البائسين، وخدمة للآلهة، ولا يقيم اثنان منكم في مكان واحد». هكذا كانت دعوته لصحبه وأتباعه. يقول بوذا: «إن من يستطيع أن يقطع كل صلة بما عداه، وأن يتغلب على جميع الاغراءات، وأن يرفض استجابة جميع الرغبات لهو أعظم الرجال».

ومن أقواله أيضاً: «ينبغي على الإنسان أن يعيش على الأرض كالنحلة التي تحط على الزهرة فلا تؤذي لونها، ولا رائحتها، ثم تطير محمّلة بالرحيق».

هكذا أقام بوذا فلسفته الأخلاقية التي دعمها بمظهر ديني يقوم على أركان

ثمانية (مرت معنا). وقد ركّز على المبادىء الفاضلة الخمسة الأساسية في البوذية. لا تقتل لا تزن. لا تسرق، لا تكذب، لا تشرب مسكراً... هذا هو بوذا. وهذه تعاليمه ومبادئه الخلقية الفاضلة، وقد كان له أثر كبير في كل بلاد آسيا الجنوبية والشرقية، وليس ثمة رجل أقوى منه في تلك البلاد.

ولم يعرف التاريخ أميراً غيره تنازل عن مباهج الحياة وملذاتها، وعن عزها وسلطانها وجاهها وعاش متسولاً يبكي آلام البشرية ومشاكلها محاولاً إنقاذها منها وإسعادها

يقول بوذا «أن كل من يحيّ كبار السن ويحترمهم تطول حياته وتزداد سعادته قوته وجماله» فهل طالت حياته؟؟ مات بوذا وهو في الثمانين من عمره، وأحرق جسده بعد موته بثمانية أيام»... ومن حكمه أنه قال: «كما أنه لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسوّل الفقير. كذلك لا فرق بين روحيهما. وكل منهما أهل لإدراك الحقيقة، والانتفاع بها، وتخليص نفسه». فما رأي بوذا بالنساء؟ عندما كان على فراش الموت سأله «أناندا» أحد تلاميذه هذا السؤال: كيف نتصرف أيها السيد مع النساء؟؟

أجاب بوذا: «لا تروهن ولا تحدّثونهن يا أناندا» وتابع قوله: **«وإذا تحدثت** إليكم واحدة منهن، لا تكترث ولا تلْقِ بالاً إلى ما تقول يا أناندا».

لقد عاش بوذا عظيماً، ومات عظيماً، وتبلّغ رسالته مئات من ملايين البشر، ولم يزل خالداً بينهم إلى الأبد....

الإصلاح الدِّيني في الهِند

1 ـ تمهيد :

تعدّدت الديانات في الهند بتعدد اللغات وتعدد الأقوام والشعوب. ففيها أكثر من ثمانين ديانة ومذهباً. وتنتشر فوق أرضها الآلاف من المعابد أو الهياكل. وفيها الملايين من السحرة والمشعوذين، ومن البقر السائب، والأفاعي الراقصة المتنوعة، وفيها مئات الأطنان من البخّور والبهار، وغير ذلك من الأمور التي لا تُصدق وقد بلغ عدد الهنود اليوم حوالي 800 مليوناً من البشر. وقد ظهر فيهم بعض المصلحين الذين قاموا بإصلاح وتعديل الديانات الكبرى، ومن بينهم السيخ، فمن هم السيخ؟ وما هي معتقداتهم؟...

2 ـ السيخ :

من أقل الفئات البشرية انتشاراً أو توزيعاً. وهم آخر العقائد التي ظهرت في الهند وأحدثهم، ولا يصل تاريخ وجودهم إلى 500 سنة. وهم أقل العقائد أتباعاً في الهند يتراوح عددهم بين 15-20 مليون نسمة يعيش معظمهم في إقليم البنجاب وفي منطقة هاريانا وفي دلهي أيضاً، وتوجد منهم أقليات في ماليزيا، وسنغافورة وفي شرق إفريقيا وفي أطراف الخليج العربي كما توجد أقليات أخرى في الولايات المتحدة وانكلترا وكندا. والسيخ في الأصل هم فرع من الهندوسية البرهمية، وعندما وصل الإسلام إلى الهند آمن به عدد كبير من الهنود. وبدأ

المصلحون الهندوس يدرسون الإسلام الذي يدعو إلى عبادة الإله الواحد فحاولوا إدخال التوحيد في عقيدتهم البرهمية فظهرت مذاهب جديدة جاء بها المصلحون من أمثال: ناناك، كبير، ديانندا، وغيرهم..

3 ـ العقيدة عند السيخ: «القواعد الخمسة»:

تتلخص عقيدتهم في مبدأين هما: وحدة الله، وأخوّة الناس ومساواتهم، فالله عند السيخ واحد أحد، والناس عندهم متآخون جميعاً، بل الأديان جميعها دين واحد. وقد تأثر دينهم بالهندوسية، وأخذ منها فكرة التقمص، والنيرفانا، ووحدة الكون. ورفض ناناك فكرة التزهد والرهبنة عند الهندوس، كما نبذ فكرة الحج والاغتسال في الأنهار المقدسة والتسوّل والبطالة، واستنكر التركيب الطبقي بين الناس. وأخذ من الدين الإسلامي فكرة التوحيد توحيداً مطلقاً خالصاً تاماً. كما أخذ منه فكرة الإله وصفاته، فالإله رحمن رحيم محبٌ لعباده هادم الآلام يحب الفقراء ويعطف عليهم، كما أخذ أيضاً بعض النواحي الأخلاقية فنهى عن قتل الأولاد، وعن دفن الزوجات مع أزواجهم، وعن زواج الأولاد ممّن هم دون سن البلوغ ولتطبيق العقيدة عند السيخ فهم يضعون لدينهم خمسة أركان هي:

1 ـ الكيسا Kesa: أي أن رجل السيخ لا يقصّ شعره أبداً مهما طال، ولا يمسّ شعرةً منه بمقصّ، حتى أنهم يلفّون شعر رؤوسهم تحت عمامةٍ يتميزون بها. حتى الأطفال في المدارس لا يقصّون شعرهم. اقتداءً بشمشون الجبار الذي اشتهر بقدرته في شعر رأسه.

2 ـ الكانغا Kanga: وهي الضفائر المجدولة فوق الرأس تعويضاً عن المشط. ليكونوا على أهبة الاستعداد للنجدة..

3 ـ الكاتش Katch: وهي السراويل البيضاء القصيرة تحت الملابس. بخلاف عادة الهنود الذين لا يلبسونها ويكتفون بلبس السراويل البيضاء الطويلة...

4 - الكارا Kara : وهي السوار الفولاذي في اليد اليمنى. على أساس أنه يذكّرهم بالله ويبعد الشيطان.

5 - الكابريان Kaberian : وهو السيف ذو الحدين الذي يحملونه معهم دائماً..

ومن شعائر وطقوس المذهب السيخي: تحريم الخمر والتدخين. والنهوض باكراً. وأخذ حمام بارد.

إضافة إلى أنهم يطلقون شعر الرأس واللحية. ويمشطون شعرهم مرتين كل يوم، ولهم كتاب مقدس يحفظونه في معبدهم الذهبي في «أمريتسار» مركزهم الرئيسي. وقد اعتادوا على قراءته يومياً. وأن يحملوا منه نسخة في مقدمة الجيوش المحاربة، ومن عبادتهم التأمل في اسم الله. والصلوات في الصباح والمساء، وتلاوة بعض الأقوال المأثورة. وقد سمح لهم ناناك أكل اللحوم شرط أن يُذْبَح الحيوان ضربة واحدة من سيفٍ حاد..

4«أمريتسار» عاصمة السيخ:

ومعناها بركة الخُلْد، وهي بقعة من الأرض منحها السلطان «أكبر» لأحد زعماء السيخ وهو الغورو. «رام داس» عام (1577 م). قامت فيها مدينة أمر تيسار العظيمة. وأقيم فيها «المعبد الذهبي» وهو المكان المقدس الذي يحجّ إليه السيخ وهو من أجمل معابد الهند ومن أروع المباني في العالم. يأتي إليه السيخ لتقديم الصلوات «لصاحب المواهب» المقدس والكتاب الموضوع فوق المذبح الكبير..

وتقع أمر تيسار في البنجاب الهندية الشرقية، أما القسم الغربي من بنجاب فمعظم سكانه من المسلمين وقد ضم إلى باكستان مؤخراً...

5 - مؤسس ديانة السيخ «ناناك»: (1469-1539 م):

يعتقد السيخ أن «ناناك» هو مؤسس مذهبهم، وهو في الأصل هندوسي..

ناناك: ولد ناناك عام (1469 م) في مدينة «تالوندي»، بإقليم لاهور بالهند من أصل هندوسي وتوفي عام (1539 م). . وقد نشأ في عائلة متوسطة فقيرة، وأراد والده أن يجعل منه رجلاً ثرياً عن طريق التجارة، لكنه أبى ذلك، وألقى بثروته وماله إلى الفقراء. كان متميزاً في طفولته بخاصة فردية، كان يحب العزلة والتأمل في الكون فعدّوه مريضاً نفسياً، ولكنه تفوق على غيره. وقد عمل محاسباً في ديوان «سلطان بور» وتصادق مع أحد المسلمين، وعمل خادماً عند شريف من شرفاء المسلمين، وكوّن مع صديقه «ماردانا» فرقة إنشاد دينية، فكان ناناك يؤلف الأناشيد الصوفية، ويقوم ماردانا بتلحينها، ثم أسّسا مطعماً تعاونياً مسلماً - هندوسياً لمختلف الطبقات من أبناء البشر لينشر المحبة بينهم. ولمّا بلغ الخامسة والثلاثين من عمره زعم أن الله تجلّى عليه في «سلطان بور» فقد رأى رؤيا كأن يداً تمدّ إليه بكوزٍ من الماء، وكأن أبواب الجنة فُتِحَت له وأن صوتاً يناديه قائلاً: «اذهب وردد إسمي، واجعل الناس يرددونه، ثابر على الصراط المستقيم في الاسم والصدقات والطهارة وذلك خدمة لي ولاسمي ولذكراي». لذلك كان يقول لأبيه «يا أبي أنا مُلْهَمٌ من الرب وعليّ تأدية الأمانة». حمل ناناك هذا القول وسار به يدعو الناس إلى دين جديد، وقد اختفى مدة ثلاثة أيام كان يستحم في النهر. ثم ظهر معلناً أنه: «لاهندوس ولا مسلمين». لقد اهتدى إلى الدين الصحيح وأصبح «غورو» أي معلّم العقيدة الجديدة. وبدأ يبشر بها بين الناس وينتقل من مكان إلى آخر حتى يقال أنه بلغ مكة المكرمة. لقد رفض «ناناك» كل ما تراكم على الهندوسية من وثنيّات، ورفض تعدد الآلهة وكثرة الخرافات الموروثة عندهم ودعا إلى عقيدة توحيديّة تتصف بالبساطة والنظام. وتقول بعبادة الإله الواحد وتأثر بالمظهر العلمي للمساواة بين المسلمين فثار ضد الهندوسية ورجال الدين من البراهمة فكان دينه الجديد الذي يجمع بين الهندوسية والإسلام. هو دين السيخ الذي يدعو إلى وحدة الله وعبادته. ويقوم هذا الدين على مفهوم الفيدا الهندوسي، وهو مفهوم روحي صوفي يرمز إلى الله وقد أضاف إليه المعلم ناناك صفات الوحدانية والخلق فصار هو الرمز الواحد «أوم كار» أي الله الواحد القهار وهو الحق وهو الخالد الذي لا تدركه الأبصار. .

وأصبح السيخ يستخدمون أسماء إسلامية وهندية للإله وأصبحت كلمة «هايل غورو» الكلمة المرادفة لاسم الله من بعد المعلم ناناك وهو المعلم الأول. وقد توالى بعده تسعة معلمين كان أولهم «آنغاددين» حمل كل واحد منهم لقب غورو Goro أي المعلم. ويعدُّ كل واحد منهم عند السيخ ظل وراء ظل الله وتنتقل الروح من أحدهم إلى الآخر انتقال النور. وتنسب إليهم المعجزات والقوى الخارقة.. وفي موقع كل معجزة حصلت معبد يُبنى ورهبان يُصلّون وذهب يُغطي القباب..

أما قصص الخوارق فتحولت أناشيد للألوهية، والمعابد لا حصر لها وكان أولها المعبد الذهبي في مدينة «أمريتسار». وقد جمع المعلم الخامس «أرجان» أقوال ناناك وعظاته، وأشعار «كبير» و«أماناند» في كتاب واحد سمّاه (صاحب المواهب). الذي أصبح الكتاب المقدس لأتباع ناناك الذين سمّوا أنفسهم بالسّيخ أي المريدين. وقد قُتِل الغورو العاشر «هارغوبند» سنة (1708 م) في «مهاراشترا» بعد أن أعلن أنّه خاتم المعلمين، إلا أن بعض الفرق من السيخ لا يقبلون ذلك ويعتقدون أن لديهم دائماً غورو ـ معلم ـ حيّ موجود. ومن الذين قاموا ببعض الإصلاحات الدينية في الهند الشاعر الهندي: كبير، ديانانداً...

6 ـ المصلح الديني كبير: (1440-1518 م):

ولد «كبير» يتيماً من أبيه، وواجهت أمّه الفقر واليتم، فوضعته في سلة فوق سطح الماء حتى مرّ به رجل مسلم يعمل نسّاجا اسمه «نيرو» ومعه زوجته «تيما» واتخذاه ولداً لهما وسمّياه «كبير». أرسل النسّاج ابنه كبير إلى أفضل المدارس والمعلمين في «بنارس» لتربيته أحسن تربية. وقد تعلم أصول الدين الإسلامي والبرهمي، واستمروا في دراسته، وتعلم النسيج حتى أصبح نساجاً بارعاً، وعالماً حاذقاً، وأباً صالحاً، وشاعراً عظيماً، ملأت شهرته الآفاق فقد وُلد برهمياً ونشأ نشأة إسلامية...

كان يدعو في شعره دائماً إلى التوحيد، وعبادة الله وحده، فقد كان في

الأصل مسلماً ولكنه تتلمذ على يد هندوسي، وقد تعلم الكثير عن الشاعر الهندي «رامانندا» الذي كان يدعو إلىٰ عبادة الإله الواحد. وقد دعا إلىٰ المساواة بين الناس جميعاً. وأنهم أخوة فلا فرق بين برهمي وكاهن وتاجر ومنبوذ. فالتف الناس حوله، وكثر أتباعه، وانتشرت أشعاره التي تحمل عقيدته الكاملة التي تدعوا إلىٰ التخلي عن التكبر والغرور ونبذ الطائفية، وهجر الأصنام وعبادتها، والإيمان بإله واحد لا شريك له. فقد قام بالتوفيق في العقيدة بين الهندوسيين والإسلام، وكان يعالج في شعرهِ القضايا الدينية، فهو يقول في شِعرِه هذا النشيد علىٰ لسان الإله:

«يا عبدي، إلىٰ أين تذهب باحثاً عني؟ وأنا في جوارك، أنا لست في معبد ولا في جامع، ولست في شعائر ولا مواكب، إن كنت حقاً تطلبني وتريد لقائي فانظر إليّ فإنك ستراني..»

ومع ذلك فقد سخط عليه المسلمون لما في شِعرِه من مخالفات للإسلام، ولم يرض عنه الهندوس أيضاً لمخالفته عقيدتهم، ولذلك نُفي من موطنه «بنارس». وقضىٰ شطراً من حياته يتجول بين البلدان إلىٰ أن مات فجأة في «ماجهار» عام (1518 م)، وعمره (79) عاماً. وقد حضر وفاته تلاميذه من المسلمين والهندوس، وتنازع الطرفان جثته مدّعياً كل منهما أنه ينتمي إلىٰ دينه. حتى سمعوا منادياً يدعوهم إلىٰ رفع الغطاء عن الجثة، فلما رفعوا الغطاء، لم يجدوا الجثة، بل وجدوا مكانها كوماً من الزهور وأوراق الورد، فاقتسمها الطرفان ودفن المسلمون نصيبهم حسب شعائرهم الإسلامية. وحمل الهندوس نصيبهم إلى بنارس، وأحرقوه، ونثروا رماده في مياه الخانج المقدس.

وقد جمع أتباعه ومريدوه حِكَمَه وأشعاره في كتاب سمّوه «بيجاك».

ويعدّ هذا الكتاب المصدر الرئيسي لإصلاح الهندوسية وقيام مذهب السيخ. وقد بلغ أتباعه أكثر من مليون نسمة من الهنود..

7 ـ المصلح الديني ديانندا:

ظهر في الهند وهو من أصل هندوسي، رفض الأصنام وعبادتها ودرس

العقائد المختلفة ليبحث فيها عن حقيقة ما يؤمن به الناس وقد اختفى عن أهله والناس، يبحث عن معلم يهديه إلى حقيقة الدين، واجتمع بكثير من رجال الدين الهنود. ولكنه لم يقتنع بتعاليمهم ومعتقداتهم، حتى ذهب إلى نهر الغانج المقدس، ليدرس مع الرجال المقدسين المجتمعين حول أقدس الأنهار، فالتقى بمن آمن منهم بنبذ الأصنام وعدم عبادتها، فآمن بهم، ودعا إلى عبادة الإله الواحد. وقد تفرغ لدراسة الإنجيل لمدة عامين. ودراسة تعاليم الراجا «راموهان» الذي لم يكن راضياً عن تعاليم البرهمية.. وحاول دمج بعض التعاليم المسيحية في العقيدة الهندوسية. آمن ديانانذا بالإله الواحد وتخلى عن عبادة الآلهة المتعددة ونبذ الطوائف حيث أنه ليست هناك طوائف بالوراثة أو الفطرة وآمن بأن من يتوب يغفر الله له خطاياه. ولكنه ظل مؤمناً بفكرة التجسد والنيرفانا كما بشرت بهما البراهمية عند الهندوس.

أسس مع رسالته ومريديه جمعية دينية سمّاها «آرياساماج» أي جمعية النبلاء. وحمل رسالته من بعده أتباعه، وانتشر أمرهم في أنحاء البلاد حتى زاد عددهم في الهند عن سبعين مليوناً من البشر.

8 ـ دولة السيخ (1792-1849 م):

عندما تولّى زعامة السيخ «كوفيندسينغ» صرف همه الديني إلى تدريب أتباعه عسكرياً مدة عشرين عاماً في جبال الهملايا تعودوا حياة الخشونة والحروب. ثم نزل بهم إلى البنجاب لملاقاة جيوش المسلمين هناك وقد هلك من أتباعه رجال السيخ الآلاف من المقاتلين. ولا يزال السيخ حتى الآن فخورين بتاريخهم كمقاتلين أشداء. وفي عام (1792 م) شكلت دولة السيخ بزعامة «رانجنغ» في البنجاب. الذي جند السيخ وأغار على لاهور وأمرتيسار واستولى عليهما وأقام في «أمريتسار» المعبد الذهبي، وجعلها مقراً له. وفي سنة (1809 م) عقد هدنة مع الإنكليز حدد فيها بلاده بنهر ستلج. رحّب الإنكليز بالصلح معه لأنه رجل قوي يستطيع أن يكون حاجزاً بين الإنكليز والأفغان الذين يشكلون خطراً على الوجود الإنكليزي في الهند. وتوثقت العلاقة بين السيخ

«رانجتسينغ» والإنكليز. وانضم السيخ إلى الإنكليز في حربهم ضد الأفغان عام (1838 م). وفي عام (1839 م) توفي الشيخ رانجت سنغ ويقال أنه عندما أحرقت جثته تبعه في النار أربع زوجات وسبع جواري وقد كانت عادة إحراق الأرامل موجودة رغم مخالفتها لتعاليم السيخ وبعد وفاته عادت الخلافات بين السيخ والانكليز، ووقعت حروب انتهت بزوال دولة السيخ عام (1849 م) وحين جرى تقسيم الهند فَضَّلَ السيخ الالتحاق بها. . .

وقد كان لهم شأن كبير في حياة الهند، وما يزالون، لما يتصفون به من شجاعة وإقدام، ولخطورتهم في الهند لأنهم يشكلون عنصراً هاماً وقوياً في الجيش الهندي. ولأن منطقة البنجاب هي منطقة إنتاج القمح لمعظم الهنود. وعلى أيديهم تم اغتيال رئيسة وزراء الهند السيدة (انديرا غاندي) عام (1985 م).

وما زال خطرهم يهدد بلاد الهند بالتقسيم، فهم يحاولون الإنفصال عن الهند وإعلان الاستقلال، وفي كل يوم لهم مشكلة جديدة مع الحكومة في البلاد.. وهم يرفعون شعارهم القائل: «بأنهم ليسوا خرافاً تعلّق من رقابها للشنق».

الدِّيانَات في بِلَادِ الصِّين

تمهيـــد:

تعد الصين من أرقى بلاد العالم، وأقدمها في الفلسفة الإنسانية، والمذهبية الدينية، وقد ظهر فيها عدد من الفلاسفة والحكماء الذين قامت تعليماتهم وأفكارهم وفلسفتهم على السلوك القويم للإنسان، وقد عُرفت النفس الصينية بأنها أقدر النفوس على تحويل الفرضيات الخلقية إلى أخلاق عملية..

وقد تركز المجتمع الصيني على خليط عجيب من الدين والأخلاق والفلسفة، والصينيون من أكثر الشعوب تمسكاً بالخرافات، وأكثرها تشككاً، وأعظمها تُقى، وأبعدها تحرراً من سلطة رجال الدين. ولهذا امتزجت الفلسفة الصينية بالدين وتوافقت معه فقامت الفلسفة على الأخلاق الفاضلة، وتنظيم السلوك الإنساني وإصلاح الأخلاق العملية، بينما قام الدّين على الاشراك بالله والوثنية، وأخذ يدعو إلى حسن المعاملة بين الناس، فهو سلوك إنساني وفلسفة أخلاقية وتنظيم اجتماعي، ولذلك اتخذ الصينيون الأخلاق الفاضلة مذهباً في السلوك القويم وديناً تدعو إليه آلهتهم حسب اعتقادهم، وعملت فلسفتهم ودينهم على إقامة بنيان قوي من الأخلاق والسلوك الحسن وإن كان دينهم في عقائده وأسسه وشعائره لا يمت إلى الحق والمنطق بصلة، وقد بلغت الأخلاق عند الصينيين درجات من السمو والرفعة أدهشت العلماء عندما درسوها، واطّلعوا عليها،

وخاصة ما وجدوه عندهم من حكم ووصايا وآراء خلقية سامية موروثة، ولهذا ظن العلماء أن الصينيين لا بد وأنه قد بُعِثَ فيهم رُسل، وأخذوا يقارنون بين التوراة والكتب الصينية في الأخلاق والحكم والوصايا، وهذا أمر ممكن لأن الله سبحانه وتعالى لا يترك مثل هذه الجماعات البشريّة الكبيرة من غير رسول يهديهم أو يدعوهم إلى عبادة الله وحده، «وإن كان غير معروف أي رسول منهم»، وهذا لا يعني عدم وجود أنبياء أو رسل في تلك البلاد الرحبة، وأنهم لن يُترَكوا سُدى من غير هداية أو إرشاد.. قال تعالى: **﴿ورُسُلاً قَدْ قصصْناهم عليك من قبلُ ورُسلاً لم نقصُصْهم عليك ﴾**[1].

(1) سورة النساء، الآية: 164.

الفصل الأول

أولاً: الديانة الصينية القديمة:

قامت في الصين تعاليم دينية وثنية قديمة، قبل أن يظهر المصلحون الأخلاقيون، أمثال: «لاوتزو» «كونفوشيوس»، وقد عبدوا مظاهر الطبيعة، لأنهم خافوا منها، وعجزوا عن تفسيرها وقد كانت السماء والأرض في هذا الدين البدائي شطرين في وحدة كونية عظيمة، عملها الأساسي هو التكاثر والنمو، وكانت السماء التي تشمل كل المخلوقات وكل الأشياء هي الإله الأعظم في نظرهم، وقد اعتقد الصينيون القدماء بعبادة ثلاثة مظاهر هي:

عبادة السماء، عبادة قوى الطبيعة، وعبادة أرواح السلف.

1 - عبادة السماء:

عبد الصينيون القدماء السماء باعتبارها الإله الأعظم، وحاكم الحكّام ورب الأرباب.. ولا يقصدون بها القبّة الزرقاء المعروفة لنا، بل يقصدون بها الأفلاك ومداراتها، والقُوى المسيطرة عليها والتي تسيرها في مداراتها، وهم يعبدونها لاعتقادهم أنها عالم حيّ متحرك حسب نظام محكم ودقيق، وإن كل القوى المسيّرة في العالم، إنما هي خاضعة لسلطان السماء، التي لها السيطرة العليا على كل القوى والمادة والأشياء جميعها . واعتقد كونفوشيوس أن السماء

قوة في الكون فيها قدرة أقوى من قدرة الإنسان تعمل على تحقيق العدل والحق، ولها من العطف والرحمة على الإنسان ما لها. فهي مثال للرحمة والعدل.. ويعتقد قدماء الصين بالقضاء والقدر، فهم يقولون أن كل الحوادث في السماء مقدرة ومعروفة، وقد اختص بعبادة السماء وتقديم القرابين لها ملكهم الأكبر.. ولذلك يطلق على امبراطور الصين «ابن السماء» حتى صار لكل ملك أو أمير الحق في عبادة السماء كالملك الأكبر، بينما لا يحق لعامة الصينيين ذلك.. ويعتقدون أنه يجب على الملك أن يحكم بين الناس بالعدل بأمر السماء، فإن خالف ذلك وقسا أو ظلم الرعية، سلّطت عليه السماء مِنْ رعيته مَنْ يخلعه أو يقتله، ومكّنت السماء لغيره من العادلين من يستولي على عرشه ويطرده. وقد قيل على لسان أحد ملوكهم كان قد انتصر على ملك من بيت (هشيا) كان قبله وقتله: «أعطى الإله لكل إنسان ضمير، إذا تبعه يحفظه ويقوده إلى الطريق السّوي والإله دائماً يبارك الطيب ويعاقب السيء، ولذلك أنزل الإله المصائب على بيت «هشيا» كي يضع حداً لآلامه».

2 ـ عبادة قوى الطبيعة:

عبد الصينيون القوى المسيطرة على الأشياء الموكلة بها، فهم يعتقدون أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وتسيّره، فللشمس قوة تسيّرها، وللقمر وللسحاب وللمطر والجبال والكواكب وكل الأشياء كذلك..

وتختلف عبادة الملوك لها عن عبادة عامة الناس، فالملوك يعبدون القوى الخاصة بكواكب السماء، وكل ما فيها، بينما يعبد الصينيون كل قوى الأرض وما يختص بها.. وكانت دوافع تلك العبادات: الخوف من خوارق الطبيعة، وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة، وما فيها من قدرة على الإنتاج والتوالد..

3 ـ عبادة أرواح الأجداد:

من معتقدات القدماء الصينيين، أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد

موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرتهم، لذلك فهم يعبدون أرواح الآباء والأجداد تقديسا لهم ووفاء لعهودهم وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم، ويقدمون لهم القرابين، ومع ذلك لم يهتموا بإقامة قبور ضخمة لهؤلاء الأجداد كالمصريين.. يقول أحد المؤرخين: «إن الصين ليست مقبرة كمصر، ولكنها بيت كبير للأجداد». كما عبدوا أرواح كبار الحكماء والأبطال الوطنيين، وعبدوا أباطرتهم الذين كانوا بنظرهم مقدسين.. وعبد الصينيون بعض القوى السحرية الموجودة داخل المنزل «قبل باب البيت أو العتبة أو موقد المطبخ أو ساحة المنزل أو الحديقة». وغير ذلك.. وكانت العبادة عند الصينيين غناءً ورقصاً وموسيقى، وكأنهم يشركون آلهتهم معهم في أفراحهم وسرورهم وأغانيهم وموسيقاهم.. ولم يؤمنوا بالجنة ولا بالنار.. ولا بالثواب ولا بالعقاب.. وإذا لاحظ الصيني عدم استجابة الآلهة لدعائه شتمها وقذف بتماثيلها وصورها بعيداً، ولهم مقولة بهذا المعنى: «ليس بين صانعي التماثيل والصور من يعبد الآلهة، لأنهم يعرفون من أي مادة تصنع».

ومن معتقدات الصينيين القدماء، أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود بين الناس، وملوكهم فكلما كان العدل والانسجام والتفاهم والفضيلة تسود بين الناس وتربط العلاقات بينهم برباط من المودة والمحبة والرحمة، فالكون يسير في فلكه من غير اضطراب يعيش الناس بسعادة وهناء، أما إذا حاد الإنسان عن جادة الحق وابتعد عن السلوك القويم، اضطرب الكون لمخالفة القانون الأخلاقي، ويعدُّون حدوث القحط والزلازل والدّمار، وكسوف الشمس، وخسوف القمر، دلالات على فساد خُلقي موجود بين الناس، أما السلوك الطيب فيجلب الخير والبركات ويجعل كل ما في الكون يجيء وفق رغبة الإنسان، وهم يعتقدون أن المؤثرات في الكون أمور ثلاثة هي:

السماء: ولها السلطان الأعلى. ثم الأرض: لأنها تقبل أحكام السماء. ثم الإنسان: بما يؤثره بإرادته، فإذا أراد الفضيلة وسلك سبيلها يجعل مظاهر الكون لخير الإنسان...

ثانياً: تقديم الأضاحي للآلهة القديمة:

كانت عباداتهم تقوم على تقديم الذبائح الخمس التي ترمز إلى العناصر الخمسة التي يرجع إليها أصل كل الموجودات وهي: المعدن ـ الخشب ـ الماء ـ النار ـ التراب.

وكان الصينيون يقدّمون الذبائح والقرابين حسب اعتقادهم على ثلاث مراتب وهي:

(أ) الذبائح العظمى:

وكانت تقدّم باسم السماء «تيان» Tian والأرض «تي» Te. والهياكل العظمى لأسلافهم، وفيها أسماء الأباطرة المتوفين من العائلة الحاكمة منقوشة على ألواح وباسم «شي تسي» إله الأرض والمزروعات..

(ب) الذبائح المتوسطة:

وكانت تقدم باسم الشمس والقمر وأرواح المتوفين من العائلات والتي حكمت قبل العائلة الحاكمة، وباسم كونفوشيوس وقدماء أصحاب الفلاحة والحرير وآلهة الأرض والسماء...

(جـ) الذبائح الدنيئة:

وكانت تقدم باسم المتوفين من أهل الإحسان والمصلحين وأرباب الشهرة، وباسم الرياح والأمطار والجبال والأنهار وغيرها...

الفصل الثاني

الكونفوشيوسيّة

مذهب يهتم بالدولة والعائلة فينظم شؤونها أخلاقياً. وسميت بذلك نسبة إلى «كونفوشيوس» المشرع والمصلح الديني الصيني الشهير (551-479 ق. م). وهي ليست ديانة بالمعنى المعروف، بل هي مجموعة تعاليم وآراء فلسفية إنسانية، يقوم أساسها على القواعد الأخلاقية، والفضائل الطبيعية التي تؤيدها البراهين الحسّية، وتؤكدها العواطف النفسية. وتستند إلى حكمة القدماء، ومبدأ المعاملة بالمثل. يقول كونفوشيوس: «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به».

ومن أقواله أيضاً في الفضيلة والأخلاق القويمة: «أن تتعاطف مع كل شيء وأن تحب كل الناس وأن لا تدع مجالاً لأفكار أنانية ذلك هو الصلاح». ويقول كذلك: «إذا كلّفت إنساناً بعمل فثِقْ به، وإذا كنت لا تثق به فلا تكلّفه». ويقول أيضاً: «لا تحزنْ لجهل الناس بك، ولكن احزن لجهلك بهم». وكان يهدف إلى توصيل الحكمة القديمة كأساس لمبادئه وتعاليمه فيقول:

«إنني لا أعلّم شيئاً جديداً، وكل ما أفعله هو توصيل الحكمة القديمة».

وقد أدخلت التعاليم الكونفوشيوسيّة في برامج تعليم الشباب واستمرت تسيطر على العقلية الصينية من أول أسُرة هان (206 ق. م - 220 م) حتى سقوط أسرة منشو الذي أطلقوا عليه اسم «أحكم الأساتذة الأقدمين» في عام 1657م.

1 ـ المبادىء الخلقية:

من مبادئها الخلقية إطاعة الوالدين، واحترام الأسرة، السلم بين الحكّام والرعية، والعدالة والرحمة بين الإنسان وأخيه الإنسان. فقد جاء فيها: «الأب درْع للإبن والإبن درع للأب، والعلاقة بين الإثنين يجب أن تكون قوية». وكان يسعى كونفوشيوس للابقاء على التقاليد في تعليماته التي تعد المجتمع نظاماً مقدساً يقوم على قواعد خمس تبين العلاقات الاجتماعية بين أنواع خمسة من الناس هي: 1 ـ علاقة الحاكم بالرعية. 2 ـ علاقة الزوج بزوجته. 3 ـ علاقة الوالد بولده. 4 ـ علاقة الأخ بأخيه. 5 ـ علاقة الصديق بصديقه...

فهو يقول: «أكرِمْ أباك وأمك وافعل كلّ ما تستطيعه لجعلهما سعيدَيْن، واعبد ذكراهما ما حييت» وكان يفرض كونفوشيوس في تعليماته وجوب الطاعة والولاء من غير مناقشة، وكان ينصح أتباعه بالابتعاد عن التفكير فيما وراء الطبيعة، وكنه الروح. وقد يوصل هذه الأفكار والتعليمات إلى أبناء شعبه بشكل تدريجي وباقناع بطيء وببساطة أخاذة مفهومة. ويحدد كونفوشيوس الرجل الفاضل في المجتمع فيقول: «إن القاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق الرجل الفاضل هي العطف الفيّاض على الناس جميعاً وهذا الرجل الأعلى لا يغضبه أن يسمو غيره من الناس فإذا رأى أفاضل الناس فكّر في أن يكون مثلهم وإذا رأى سَفَلَة الناس عاد إلى نفسه يتقصى حقيقة أمره». ويقول أيضاً: «الرجل الفاضل لا يتحيّز ولا يتعصب» وعلى الرجل الأعلى أن يضع نصب عينيه أموراً تسعة يقلّبها في فكره ويحرص على اتباعها وسلوكها.

1 ـ من حيث عينيه، يحرص على أن يرى فيهما بوضوح.
2 ـ من حيث وجهه، يحرص على أن يكون بشوشاً ظريفاً.
3 ـ من حيث سلوكه يحرص على أن يكون وقوراً.
4 ـ من حيث حديثه يحرص على أن يكون صادقاً مخلصاً.
5 ـ وفي تصريف شؤون عمله يحرص على أن يبذل فيه كل عناية واهتمام.

6 - عليه أن يبثّ الإحترام فيمن معه.
7 - في الأمور التي يشكك فيها، يحرص على أن يسأل غيره من الناس.
8 - إذا غضب يفكر فيما يَجرّ عليه غضبه من الصعاب.
9 - إذا لاحت له المكاسب فكّر في العدل والاستقامة.

وفي كتابه (الحوار) يميّز كونفوشيوس بين الرجل الكامل الخلق والناقص الخلق ويقارن بينهما فيقول: «الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة، والرجل الناقص الخلق يطلب اللذّة. والرجل الكامل يفكّر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب، والرجل الناقص يفكّر في كسب المنافع. والرجل الكامل واقف على البر، والرجل الناقص واقف على الريح». وقد تركزت مبادىء الكونفوشيوسية على فضيلتين اثنتين حسب رأي مؤسسها، وهي فضائل خالدة:

أولهما: آداب اللياقة، فهي تشمل آداب المجتمع وآداب البلاط والشعائر الدينية، ونظم العدالة وقواعد السلوك الحسن، والمبادىء الأخلاقية الرفيعة.

وثانيهما: العطف الإنساني، أي حب الآخرين وطيبة القلب وسلامة النية.

ويعتبر كونفوشيوس أن قواعد اللياقة وآداب السلوك أساسي لكل فضيلة، كما توجد فضائل أخرى كان يلقّنها لتلاميذه، مثل صدق الولاء والشعور بالخجل والتواضع والحكمة وحب الآخرين، ويقول: «إن الطبيعة الإنسانية مستقيمة فإذا فقد الإنسان هذه الاستقامة في حياته افتقد معها السعادة».

ويؤكد على عظمة الإنسان الصادق فيقول: «إن الإنسان هو الذي يجعل الصدق عظيماً، وليس الصدق هو الذي يجعل الإنسان عظيماً». ومن أهم القواعد الأخلاقية كذلك قولهم أن الإنسان مفطور على الخير عندهم، والإرادة الإنسانية لها الشأن الأول ولها أثر واضح في الأكوان ويعدّون آلهتهم عادلة، ولعدلها تجعل مشيئتها في الأكوان على حسب عمل الإنسان، إن عمل خيراً فخير، وإن شراً فشرّ... يقول كونفوشيوس: «إن الناس يولدون خيّرين

متساوين بطبيعتهم، وكلما شبّوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجياً وفق ما يكسب من عادات».

فطريق الخير هو الاعتدال والاقتصاد في كل أفعال النفس وسجاياها وهم يعدّون أن القناعة مع الجد من غير استسلام فضيلة، وأن الرحمة والعدل مع المسيء فضيلة وغير ذلك. ويعدون أن أقصى الطرفين من إفراط أو تفريط رذيلة وإن الفضيلة طريق السعادة والرذيلة طريق الشقاء والويل لمن يخالف قوانين الأخلاق عندهم. فالآلهة تغضب عليه وترسل عليه شواظاً من نار فيكون الشقاء في مخالفة قانون الأخلاق والسعادة في اتباعها والموافقة عليها.. يقول في كتابه (الحوار): «لو أنني ارتكبت ما لا يليق، لغضبت عليّ السماء». ويرون أن الرحمة تربط أفراد المجتمع لبعضهم وتجعل الناس متحابين سعداء. وكل مجتمع سعيد تكون الرحمة هي الرابطة بين أفراده وليست الرحمة هي العفو المطلق أو التسامح المطلق، إن الرحمة التي تسبب السعادة هي الرفق بالمجموع ومحبتهم ومعاملة أهل السوء بما يستحقون وغاية الفضيلة عندهم هي الكمال الإنساني والسعادة لبني البشر، وإقامة بناء المجتمع على التّواد والتراحم والتعاطف.. وقد اتخذ الدين وسيلة لدعم الأخلاق وتوثيق العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض من ناحية، وبين الحكام من ناحية أخرى وهم يعدُّون الدين والأخلاق والسياسة شيئاً واحداً وقد جمعت مبادىء الكونفوشيوسية في خمسة مجلدات هي أقوال المعلم الحكيم عرفت باسم كتب القانون الخمسة» بحث في أولها في المراسم وآداب المجاملة، وفي ثانيها شرح وعلق على كتاب «التغييرات»، وفي ثالثها شرح كنه الحياة البشرية ومبادىء الأخلاق الفاضلة، وفي رابعها «حوليات الربيع والخريف» التي سجل فيها أهم أحداث وطنه، وفي خامسها كل ما عرفته الصين في تاريخها.

الأخلاق الفاضلة:

عندما دعا كونفوشيوس إلى الأخلاق الفاضلة سلك فيها ثلاثة مسالك هي:

(أ) احترام الآباء والعناية بتماسك الأسرة وترابطها فهو يقول: «واجب

الولد البر بأبويه إذا كان داخل المنزل، والاحترام لذوي الإنسان إذا كان خارجه. والصدق في أقواله والرحمة بالناس في كل أفعاله وأن يتقرب إلى الفضلاء وأن يقضي فراغ وقته في كتب الأخلاق».

(ب) الدعوة إلى الفضيلة بالتدريج وإلى الأخلاق برفق ومخاطبة الناس كل حسب طاقته. يقول أحد تلاميذه المخلصين واصفاً آراء معلمه وأثرها في نفسه «إذا رفعتُ النظر إلى آراء الأستاذ رأيتها أعلى مما كانت وهي ملءُ نفسي وتحيط بي وتستغرق كلّ حسي وهو يرشد الناس بالتدريج إرشاداً حسناً وقد وسع بالعلوم مجال فكري وضبط بالآداب سلوكي حتى أني لو رغبت في ترك آرائه ما طاوعتني نفسي».

(ج) الدعوة إلى الخلق القويم والقدوة الحسنة فكان يدعو تلاميذه إلى السلوك الخلقي بأخلاقه ودعاهم أيضاً بكلماته فهو يقول لهم «أتظنون أني أخفي عليكم شيئاً؟ ما من أمر أعلمه إلاّ في إرشادكم وهذه هي طريقتي في التربية». إن الكونفوشيوسيين يكرهون أن يظهر الرجل على غير حقيقته ويسمون الأفراد من هذا النوع «لصوص الفضيلة»، وما أكثرهم في هذه الأيام.

2 ـ المبادىء السياسية:

للكونفوشيوسية رأي في السياسة والحكم فهم يعدون أن قوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة والحكم فأقوام الأخلاق تنتج أقوام السياسة وأفضل أنواع الحكم ويجب على الحاكم أن يُصلح نفسه قبل إصلاح رعيته. وإذا لم يستطع الملك أن يسوس نفسه وشعبه بالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب من السماء، ينزع منه الملك، فالسياسة الحكيمة تقوم على الأخلاق القويمة، وهي ليست منفصلة عنها والغاية السامية في السياسة هي إصلاح الأخلاق. يقول كونفوشيوس: «السياسة الحكيمة تهذّب الرعية حتى لا تكون مخاصمة» فهي التي تعطي كل ذي حق حقه، فلا تسامح في قانون الأخلاق ولا تهاون في مصلحة الشعب ولو كان الآثم ملكاً ستغضب عليه السماء، ولهذا فقد استمر

العدل قائماً بينهم مع إنهم وثنيون ولا يدينون بدين سماوي. . وهو الذي يقول: «. . إن الحاكم الظالم أخطر على الناس من النمر المفترس». ومن تعليمات كونفوشيوس في أمور السياسة أنه يجب إنشاء حكومة صالحة أو جمهورية واحدة يتولى أمرها ذوو المواهب والفضائل تعطي الحقوق لأصحابها. وتؤمن الحياة الكريمة لمن لا يستطيعون كسب العيش كالأرامل والشيوخ العاجزين والمرضى الذين أقعدهم المرض عن العمل. . وكان أباطرة الصين يعدّون أنفسهم قدوة صالحة لشعوبهم ومسؤولين عن رفاههم وعاملوهم أحسن معاملة لذلك كان الامبراطور يفرض على نفسه الصيام حين تصاب بلاده بمجاعة وهو دائماً يتحسس آلام شعبه ويعمل على تلافيها وعلى مشكلات الرعية، وفي صفات القادة يقول كونفوشيوس: «إذا كان سلوك الرئيس مستقيماً أطاعه المرؤوسون من غير أن يأمرهم وإن كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم». فالطاعة إذاً تكون عن رغبة النفس واقتناعها. . ومن أقواله في طلب المنصب: «لا يكن همّك أن تتولى المنصب، بل ليكن همك ما يؤهلك لهذا المنصب، ولا تهتم بجهل الناس قدرك، بل اهتم بالفضل الذي تريد أن يعرفوك به». ويعتبر كونفوشيوس أن الشعب ليس إلا معبّرا عن السماء أو الله، فهو يخاطب الأمير بقوله: «إذا نلت حب الشعب فإنك تنال حكم الامبراطورية وإذا فقدت حب الشعب فقدت الامبراطورية». وهو يصف أخلاق الرؤساء بالرياح وأخلاق المرؤوسين كالعشب وإلى أية جهة هبت الريح مال العشب فهو يقول: «إن أخلاق الرؤساء كالريح، وأخلاق المرؤوسين كالعشب، وإلى أية جهة هبت الريح مال العشب». وكان الحكام والولاة والموظفون يجتازون امتحاناً معيناً على أساس ما ورد في الكتب الكونفوشيوسية، فإذا اجتازوا ذلك الامتحان بنجاح أسندت إليهم الوظائف وألقابها. . ويؤيد ذلك في قوله: «إن الرجل العاقل لا يحكم على الناس بأقوالهم بل بأفعالهم، ففي العالم المتحضر نجد المجتمع زاخراً بالأعمال السامية وفي العالم المتخلف نجد المجتمع زاخراً بالخطب الرنّانة». . ويقول في ذاته: «إني أكره جعجعة الخطب». . ويقول: «قلّما يكون الشخص ذو الخطب المؤثرة في المظهر رجلاً فاضلاً».

3 ـ المعتقدات الدينية:

كان يؤمن كونفوشيوس بأنه ليس في الوجود سوى إله واحد قوي الإرادة هو السماء، وكان أول من صرّح بوجود العناية الوحدانية بالصين عندما كانت الصين غارقة في ظلمات الوثنية والوحشية. ولم يكن هو نفسه موضع عبادة أو تأليه، ولم يرض بذلك، لأنه كان يعتبر الآلهة رموزاً لقوى الطبيعة وأرواح السلف ليس أكثر، وقد قام هذا المصلح دون مبالاة بالأخطار والأسفار من أجل الفضيلة والتعليم لا يثنيه شيء عن نشر مبادئه مع ما فيها من تناقض لعبادة ذلك الزمان وتعاليمه، فكان يكره رجاء الإله أن يشفيه أو أن ينعم عليه أو أن يغفر له، لأن الصلاة باعتقاده لا غاية لها، إلا تنظيم سلوك الأفراد والتأليف بينهم وهو يقول: «إن الفرد الذي يرتكب خطأ ضد السماء لن يجد من يغفر زلّته». فالصلاة عنده لا تمحو ذنباً وكان يفرض على أتباعه الاستحمام قبل أداء الصلاة وكان يقوم بتأدية الصلاة وهو صامت على غير عادة الناس في عصره، وهكذا نجده موحداً يؤمن بإله واحد، ولم يؤمن كونفوشيوس باليوم الآخر، ولم يكن يفكّر بالحياة بعد الموت، بل كان همّه إصلاح الحياة الدنيا، وقد سئل عن الأرواح بعد الممات فقال: «نحن لم نقدر على خدمة الأحياء، فكيف نقدر على خدمة الأموات؟ ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟». لم يتميز كونفوشيوس في عبادته عن غيره من أتباعه، فكان يقوم بواجب العبادة التي يقوم بها كل صيني. وكان يقدم القرابين للآلهة كغيره بل يُحكى عنه أنه كان ساذجاً في الناحية الدينية، فكان يتشاءم من صوت الرعد ويرتجف منه ويخشاه، ويقرأ التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من بيته والأوهام والخرافات من عقله، وفيه موضع لأساطير الأولين التي كتبها وحفظها. ولكن عبقرية كونفوشيوس وقوة إرادته وعظمته كانت تتجلى واضحة في آرائه في السلوك الإنساني والخُلق القويم ورياضة النفس حتى أن الصينيين اتخذوه قدوة لهم واعتبروه من «الذين وُهبوا تفويض السماء أو الله» لهداية الناس وإرشادهم، واعتبروه نبياً مرسلاً واعتقدوا بكتابه «المحاورات الفلسفية» بأنه كتاب مقدّس ومع ذلك فقد كان يقابل بفتور في أماكن كثيرة باعتبار أفكاره خيالية لا يمكن تطبيقها ووضعها موضع التنفيذ، حتى أنه في أواخر أيامه

شعر بخيبة الأمل لإخفاقه في حث الناس على تحسين مستوى حياتهم وهو محطم القلب. فقد حاول الامبراطور «شي هوانج تي» الذي حكم من (221-211 ق.م) أن يبدأ التاريخ به، وحاول إلغاء تأثير آراء كونفوشيوس وتعاليمه، فأمر بحرق كتبه. ولكن كثيراً من العلماء في الصين كانوا يحفظون تعاليم كونفوشيوس عن ظهر قلب. وعاد الأباطرة الذين جاؤوا بعده فأحيوا ذكراه وبنوا له المعابد والهياكل في أماكن كثيرة وقد تعاظم إجلال الناس له حتى أصبح في المكانة الثانية بعد السماء، وأخذت تُشاد له الهياكل وتُقدّم له القرابين ويُحرق البخور.

وقد أقيم له في بكين العاصمة هيكل هو أجمل الهياكل الصينية في القرن 13م.

4 ـ من آرائه التربوية:

اهتم كونفوشيوس بالتعليم فكان له العديد من التلاميذ والأتباع فقد كان يقرأ وينشدُ مثلَه العليا في حكمة الصين القديمة وتعليم فلاسفتها وحكمائها السابقين ويلقّنها لتلاميذه وكان يرى أن تعاليمه لا تعطي ثمارها إلا إذا استندت إلى حكمة القدماء. وقد وضع كونفوشيوس مجموعة القوانين الاجتماعية القديمة التي تقوم على الاقتداء والتقليد، فالامبراطور في رأيه هو النموذج الأعلى الذي تحتذى فضائله. وتتبع مزاياه وشمائله. وقد بذل جهداً طويلاً في تثقيف نفسه واطلاعه على علوم الأقدمين فهو يقول عن ذاته: «علقت المعرفة في الخامسة عشرة من عمري وهام قلبي بها في الثلاثين وانكشف لي سرها في الأربعين وتعلمت الشريعة في الخمسين ولما صرت في الستين صرت أفقه ما أسمع وفي السبعين تسلّطتُ على عواطفي وأخضعتُ لسلطان العدل...».

ومن أقواله في مواضيع التربية والتعليم «حين أعرض للطالب زاوية واحدة من الموضوع ولا يستطيع الطالب أن يتعرف على الزوايا الثلاث الباقية، فأنا غير مستعد أن أعيد درسي».

ويقول أيضاً: «التعليم الذي لا يكمّله التفكير جهد ضائع والتفكير الذي

لا يكمّله التعليم خسارة كبرى». ويقول كذلك: «من تعرف على الحقيقة في الصباح يمكنه أن يموت في المساء دون أن يشعر بأسى». ويقول أيضاً: «ليكن الشّعر البداية. ولتكن الأخلاق الحميدة الوسط، ولتكن الموسيقى النهاية».

5 ـ كتب الكونفوشيوسية:

إن المعرفة عند كونفوشيوس أصل من الأصول في الحكمة والإدارة. أما الكتب التي تعطي الحكمة وتمكن الإنسان من المعرفة وتجعله قادراً على تولية شؤون الناس في الصين فهي نوعان:

(أ) الأصول الخمسة القديمة.

(ب) الكتب الأربعة الملحقة.

(أ) إن كتب الأصول الخمسة التي اعتمد عليها كونفوشيوس هي كتب قديمة أعاد النظر فيها وأصلح ما فيها ووضعها بصيغتها النهائية وأضاف إليها كتاباً من مؤلفاته فأصبح عددها خمسة هي:

1 ـ كتاب الوثائق التاريخية ويحتوي على خطب وأعمال رسمية لقدماء أباطرة الصين.

2 ـ كتاب القصائد والشعر ويحتوي على (305) أغاني قديمة رسمية دينية.

3 ـ كتاب التبدلات وهو كتاب صوفي يبحث في التنجيم ويحوي معلومات هامة عن الفلك وأسراره وأسرار الكون وطرق الكشف عن المستقبل.

4 ـ كتاب القداس والحفلات: ينظم الحفلات الرسمية وأصولها...

5 ـ حولية الخريف والربيع: وهو من مؤلفات كونفوشيوس يبحث في أوضاع وأخبار مقاطعة «لو» «Lo» بين سنة (722-479 ق.م).

(ب) الكتب الملحقة الأربعة: وفيها آراء كونفوشيوس وحياته وآراء تلاميذه وأتباعهم وأفكارهم وهي:

1 ـ مختارات كونفوشيوس من قول وفعل التي جُمعتْ في كتاب «العلم الكبير».

2 ـ المعرفة الكبرى وهو كتاب ينسب إلى أحد تلاميذ كونفوشيوس وهو «تسين تسان».

3 ـ الاعتدال أو مذهب الوسط وفيه بيان للنظام الذي يجب أن يسير فيه أتباع كونفوشيوس.

4 ـ آثار «منسيوس» (372-289 ق. م) وهو مصلح من كبار مصلحي الصين. أكمل مذهب كونفوشيوس بعده بـ (150) عاماً.

وتعتبر هذه الكتب التراث الفكري الحقيقي للصين في الفلسفة والتاريخ والأدب والأخلاق. .

كونفوشيوس (551-479 ق. م)
Confucius «المعلم الحكيم والملك غير المتوج»

نشأته وحياته:

ولد عام (551 ق. م) في مدينة «تشوفو» التابعة لإمارة «لو Lo» المسماة اليوم بمقاطعة «شانتونج» من أسرة عريقة وكانوا يسمونه (كونغ ـ فو ـ تسو) ثم حرّف إلى كونفوشيوس وتوفي في «لو» في (4 آذار 479 ق. م) ويوجد قبره في معبد «الكمال العظيم» في بكين وقد نسجت حوله القصص والأساطير الكثيرة. . كان أبوه «تشوليانج هيه» من أسرة كونغ ضابطاً حربياً ثم أصبح حاكماً لإحدى المدن ثم مديراً لإحدى المقاطعات في ولاية «لو» التي كانت حينذاك أرقى ولايات الصين حضارة وأكثرها تطوراً. وكانت الوظائف الحكومية فيها وراثية، توفي عندما كان ابنه في الثالثة من عمره، وكان قد جاوز السبعين من عمره حين ولد ابنه، عاش مع والدته «تشنج تساي» يرافقهما الفقر، اشتغل برعي الأغنام عند أحد الأمراء، وكان أميناً فقد تربىٰ على الآداب السامية والتهذيب، فهو لا يعتبر الغنى سبباً للسعادة ولا الفقر سبباً للتعاسة، يقول كونفوشيوس «الفقر لا

يستلزم التعاسة والغنى بلا فضيلة ظل زائل». تزوج وهو في التاسعة عشر من عمره، ولما شب شغل وظيفة حكومية متواضعة وهي الإشراف على بعض الأراضي العامة، ثم عمل بالتدريس. لرفع مستوى دخله القليل، ثم استقال منه بعد زمن، وبدأ ينشر تعاليمه عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره حيث أنشأ مدرسة ليتلقى فيها الشباب أصول الفلسفة الأخلاقية والسياسية، وقد كان شاباً جاداً، واسع المعرفة والاطلاع، عميق التفكير، بعيد النظر، سامي الأخلاق، لا يهتم بالاحتفالات التي تقام في بلده، ولا يتبع المواكب والمهرجانات. درس الآداب الصينية وارتشف من حكم وتقاليد أسلافه الشيء الكثير. . كان يحب الرياضة والموسيقى والعزف على القيثارة، وكان أديباً يحب الشعر أيضاً. .

فقد قال عنه تلاميذه: «كان المعلم مبرأ من عيوب أربعة: إنه لم يكن عنيداً، ولم يكن أنانياً، وكان لا يجادل وفي عقله رأي سابق ولا يفرض على الناس عقائده». وقد عرف باستقامة أخلاقه ورجاحة عقله ورباطة جأشه وكان رجلاً عالماً فاضلاً، ولكنه لم يدع قط أنه كان نبياً أو صاحب رسالة دينية أو أنه يوحى إليه من السماء، وقد عاش طوال حياته دارساً منقباً مهتماً بشؤون مواطنيه وقد وضع الكتب والمؤلفات العديدة التي تضمنت مبادىء خلقية لإرشاد الناس وتهذيبهم.

وكان عميق التدين، ويعنى بالشعائر الدينية الوثنية ويلحقها بالتقاليد التي كان يلزم تلامذته باحترامها. إلا أنه كان فيلسوفاً وحكيماً أكثر منه رجل دين أو صاحب رسالة، ومع ذلك فقد آمن بإله واحد هو السماء. . وفي سنة (496 ق. م) كوفىء بتعيينه رئيساً للوزارة في ولاية «لو» لأنه أثبت كفاءته عندما كان يشغل منصب وزير الأشغال العامة ثم وزير العدل، حيث نظم الأمور تنظيماً رائعاً. وساد العدل في زمانه وقوي سلطان الحكومة واختفى الأشرار فهو يقول: «وانتشرت الأمانة حتى لم يعد يفكر أحد أن يلتقط شيئاً لا يخصه من الأرض مهما كان ثميناً» وأصبح الرجال يمشون على جانب الطريق والنساء على الجانب الآخر وقد استطاع أن يؤثر تأثيراً كبيراً إلى حدٍ يقال معه أن كونفوشيوس هو الصين وأعدم المشاغبين من الوزراء ورجال السياسة، وأدّب اللصوص وقطاع

الطرق ومنع الغش والاحتكار، كل هذا جعل أعداءه في البلاط يتآمرون عليه، مما سبب طرده من الوظيفة ونفيه من تلك الدولة ثم عاد إلى ولايته، وهو يشعر بالأسى والإشمئزاز إزاء الفساد وسوء الحكم الذي يمارسه أفراد من الطبقة الحاكمة الذين لم يهتموا بالتفكير في مصالح رعاياهم بل انصرفوا إلى تأمين مصالحهم الخاصة على حساب الآخرين. ثم عاد واستأنف التدريس لاعتقاده أن التعليم خير وسيلة لنشر الأفكار والآراء والتعاليم فقد كان عالماً جليل الشأن مدرساً موهوباً حتى أطلق عليه معاصروه «معلم الجنس البشري» حيث نادى بالتمسك بحكمة القدماء، ونقل التراث القديم إلى أبناء عصره ودعا إلى إحياء هذا التراث والسير على قواعده ومبادئه فتملَّك نفسية الجماهير.

وقد انحدرت قيمة كونفوشيوس في الوقت الحاضر بسبب مهاجمة الجمهورية الحديثة في الصين له ولتعاليمه وأبطلت عبادته، ومع ذلك فقد اعتبرت ذكرى ميلاده عيداً وطنياً عاماً ولكن الصين الشيوعية ألغت من المدارس الأولية كتب الدين الكونفوشيوسية، بما فيها الأصول الخمسة والكتب الملحقة الأربعة. . وكانت عبادته خلال ما يقرب من خمسة عشر قرناً تقام في الصين مرتين كل عام في موقع الاعتدالين الخريفي والربيعي. وكانت تقدم له القرابين في الهياكل التي بنيت من أجله، حتى أن أباطرة الصين أنعموا عليه ألقاباً مختلفة فسمي أميراً وسمي أستاذاً وأعطي رتبة الكمال وأعظم الحكماء وقد قرروا في عام (555 م) تأسيس هيكل في كل مدينة صينية وقرروا أن تقدم له القرابين وأن يعبد فيها، وفي عام (479 ق.م) استقبل كونفوشيوس أَجَلَهُ باسماً. ولم يظهر عليه خوف ولا وجل. ولم يتل صلاة ما أو تعويذاً، وأصبح مكان دفنه مزاراً ومحجّاً لأهل الصين. فهل كان نبياً؟ الله أعلم. فكم أنت عظيم يا كونفوشيوس. . .

ومن أقواله المأثورة: «اثنان لا يغيران رأيهما: أعقل الناس، وأسخف الناس. أعقل الناس لثقته بعقله، وأسخف الناس لضعف عقله».

الفصل الثالث

الطاوية

«Toism»

هي إحدى الديانات الصينية الكبرى القديمة، أسّسها الفيلسوف الصيني (لاوتسي) أو الفيلسوف القديم، في القرن السادس قبل الميلاد، وقد جمعت أحاديثه وآراؤه في كتاب الأخلاق أو (طاوتو تشينج)، ويعني الطريقة وفيه مبادىء الطاويّة ويعد كتابهم المقدس. وهو كتاب معقد كل التعقيد، ومتناقض في فصوله وأجزائه وصعب الفهم. أما كلمة «طاو» فهي تعني الطريق الذي يبين عالم الظواهر ونظامه كما تعني نظام الكون الذي لا يداخله الخلل. وتعني القوة الكامنة في الطبيعة والأشياء، وهي المبدأ الأخلاقي الذي يحكم سلوك الإنسان الطيب..

والطاوية في رأي مؤسسها، إنها الطريقة لحياة، تهدف إلى تحقيق السلام الشخصي في الحياة الدنيا، فحوّلها الفقهاء وادّعوا وجود إكسير الحياة الذي وصل إليهم من صاحب الطريقة ليهب صاحبه الخلود، ولذلك أقبل الناس بلهفة على هذا الدين الجديد الذي يمنحهم الخلود، وشادوا له الهياكل واغدقوا على كهنته العطاء، وأصبح (لاوتسي) إلهاً معبوداً ولذلك اهتمت الطاوّية بإيجاد اكسير الحياة الذي يضمن خلود الإنسان ويبعد عنه الموت، والطاويون يقدّسون المخلوقات الخارقة للطبيعة ويؤمنون بأن أسلوبهم في العبادة يمكّنهم من إحراز الخلود والتخلص من آلام الحياة الدنيا إلى الأبد.. وقد دخلت على الطاوية

بعض الأفكار والنظريات حتى أصبحت تشبه الديانة الزرادشتية، فظهرت فيها فكرة الصراع بين قوتين تتمثل الأولى بكل قوى الخير بشكل عام، وتتمثل الثانية بكل قوى الشر بشكل عام، وتتسلط قوى الشر على الناس الأشرار فتنتقم منهم وتجازيهم على أعمالهم الشريرة، بينما قوى الخير تحصي الناس الطيبين وتكافئهم على أعمالهم الخيرة.. وتؤمن الطاوية بالسحر والتنجيم والقوى الطبيعية وما شابه ذلك من خوارق. وهم يعتقدون بتناسخ الأرواح، وأن لكل إنسان ثلاثة أنفس هي:

النفس العاقلة: ومقرها في الرأس.

النفس الحساسة: : ومقرها في الصدر..

النفس المادية: ومقرها في المعدة..

فإذا مات الإنسان ذهبت نفسه العاقلة إلى الأرواح الأبدية، ونزلت الثانية في القبر، بينما النفس الثالثة تظل تائهة ضائعة تلتمس الدخول في جسم آخر وتتقمّص فيه، وإذا لم تُتَّخذ الاحتياطات اللازمة أصبحت تلك النفس عدوّة للعائلة، ولهذا فهم يوقدون عيداناً من الطّيب عند أبواب منازلهم عند موت أحدهم حتى يمنعوا بهذه العيدان دخول نفسه أو سواها من الأرواح الشريرة إليهم.. والطاوية قريبة من مذهب الحلول الذي يقول بأن الخالق يحلّ في كلّ الموجودات والطاويّون يحتقرون العادات القديمة كما يحتقرون الدراسة والتحصيل العلمي. ويحتقرون العقل كأساس لاكتساب المعرفة لأنه في زعمهم يؤدي إلى تشويه الحقائق التي يكتسبها الإنسان بالفطرة وبدون حاجة إلى التعلّم.. والمثل الأعلى عندهم هو التحرر من الشهوة والتجربة الحسية وذلك بالتأمل الصوفي، والمعرفة الصحيحة لديهم هي معرفة القانون الأعظم أو أنها المعرفة التي يكتسبها الفرد عن طريق التصوف، والتصوف عندهم هو الطريق الوحيد للوصول إلى المعرفة.

1 ـ التصوف:

ويقوم التصوف عند الطاويّة على المراحل التدريجية التالية:

1 - أن يخلو الفرد إلى نفسه وأن يقطع كل صلة بينه وبين عالم الأشياء المحسوسة.

2 - الامتناع عن كل ما من شأنه تدنيس الروح والحيلولة بينها وبين الوصول إلى الحقائق المجردة عندها يتحرر ذهن الإنسان عن الماديات حتى يصير روحاً خالصة.

3 - مرحلة الرؤيا أو الإشراق وفيها يدرك الفرد الحقائق المجردة إدراكاً مباشراً.

4 - مرحلة الاتصال التام أو الوحدة بين الفرد والقانون الأعظم، ومنها يحصل اندماج تام بين شخصية المتصوف والذات العليا بحيث تفنى الشخصيتان في شخص واحدة.

ويعتقد الطاويون بأن الفضيلة هي عدم العمل والاقتصار على التأمل والتجربة الصوفية ويؤمنون بالحرية وعدم التدخل في شؤون الأفراد ويمكن أن تتحقق الفضائل وأن يسود السلام إذا لم نتدخل ولم نعمل، على عكس الكونفوشيوسية التي تدعو الناس إلى العمل والجد والاجتهاد.

وتسود بين اتباع الطاوية حكمة تقول: «اشغل نفسك بلا مشغلة». أي أن الإنسان يجبَ أن لا يُشْغِلَ نفسه بشيء على الإطلاق، فهي مذهب يدعو إلى ترك الأمور تسري على أعنّتها، والطاوية تُلخّص بأن الإنسان يجب ألا يناضل ضد الطاو أو الطريقة وعليه أن يستسلم ويخضع لها ويسير طبقاً لها وأن السعي وراء السلطة هو أمر سخيف وغير أخلاقي والطريقة لا يمكن أن تُهزَم وعلى الإنسان أن يتعايش معها. فالمعتنق لهذا المذهب يقول: إن الماء في منتهى الرقة وينساب إلى الأسفل بكل سهولة وهو يتجاوب مع أضعف قوة دون إبداء أي مقاومة ومع ذلك فلا يمكن تحطيم الماء والقضاء عليه. بينما نجد أن أقسى الصخور تتفتت بعوامل الحت والتعرية بمرور الزمن، وعلى الإنسان أن يتجنب العنف وأن تكون البساطة والمعيشة الطبيعية هي غايته وأن يتجنّب المساعي للوصول إلى المال أو السلطان وألا يحاول إصلاح هذا العالم.

2 ـ مبادىء الطاوية :

خلال مراحل تطور الطاوية أخذت من المبادىء البوذية والكونفوشيوسية فوضعت المبادىء العشر لمعتنقيها وهي على شكل فضائل وقواعد أخلاقية وهي :

(أ) احترام الأبناء لأبائهم وأجدادهم.
(ب) الإخلاص للامبراطور وللمعلّمين.
(ج) المعاملة الطيبة مع كل المخلوقات.
(د) الصبر واستنكار السلوك السيء.
(هـ) التضحية بالنفس في سبيل مساعدة الفقراء.
(و) تحرير الأرقاء.
(ز) غرس الشجر.
(ح) حفر الآبار وفتح الطرقات للنفع العام.
(ط) تعليم الجهال وتحسين الأحوال.
(ي) دراسة الكتب المقدسة وتقديم القرابين للآلهة.

وهم يعتقدون أن على رأس آلهتهم ثلاثة هم: لاوتسي. الامبراطور «جادي» وهو سلطان الكون عندهم. ثم أول كائن في السماء. على أن تبقى «الطاو» مقدمة على الآلهة لأن فيها سر الكون، وفي فلسفة الطاوية تفريق بين قوتين كونيتين إحداهما موجبة وهي «يانغ» المبدأ المذكر وهي السماء والأخرى سالبة وهي «ين» المبدأ المؤنّث وهي الأرض. وباتحاد القوتين خرج العالم وعمّ الكون.

أما رجال الدّين عندهم فهم قسمان: الرهبان وهم الذين يقيمون في الصوامع ويتعبدون بالتأمل وبممارسة الفضائل العشر المذكورة. ثم القسيسون الذين يقيمون بين الناس ويتدخل كلاهما في حياة الناس فيطببونهم ويزوجونهم على الطريقة الروحية

3 ـ عادات دينية أسطورية:

من عاداتهم الدينية أنه إذا مات أحدهم يوقدون عند أبواب منازلهم عيداناً من الطيب حتى يمنعوا بها دخول الأرواح الشريرة إليهم. وكذلك فهم يوقدون في أول كل شهر وفي منتصفه الشموع لإله المطبخ. ويقدّمون له الذبائح والقرابين لأنهم يعتقدون أن إله المطبخ هذا يصعد إلى الإله الأعظم ويُطلِعه على ما ارتكبته العائلة أثناء هذه الحياة. ومن عاداتهم أنه إذا مرض أحدهم واشتد عليه مرضه حتى تفارقه روحه، فتظل هذه الروح تحوم حوله دون أن تعود إليه، فيأمرهم الكاهن بإرجاعها بواسطة ثوب المريض فهم يعلقونه من طوقه بقصبة لها أوراق خضراء يحملها أحد أقارب المريض وقد يعلقون بطرفها ديكاً أبيضاً، فيطوف الرجل ويقول عبارات دينية خاصة يُلقنُه إياها الكاهن، وذلك محاولة منه لاقناع الروح بالعودة إلى صاحبها فإذا شاهدوا القصبة بدأت تدور على نفسها استبشروا بالنجاح وعودة الروح.

أما شياطينهم فهي نوعان حسب اعتقادهم: شياطن بيضاء وأخرى سوداء، تُصنَع لها تماثيل من الخشب ويزعمون أنهما أسباب الوباء والبلاء وأنهما يتسلطان على الأمراض الوافدة إليهم، وهما شيطان أبيض طويل، والآخر أسود قصير، يُصنعان من الخشب مجوّفين، يمكثُ في كل منهما رجل يطوف به في الشوارع في أوقات معلومة لدفع تلك الأمراض الوافدة إليهم...

4 ـ حكماء الطاوية:

(أ) لاوتزو **Laotzu** هو مؤسس الطاوية، ولد عام (604 ق.م) في الصين أي قبل ولادة كونفوشيوس (551-479 ق.م) بأكثر من خمسين سنة، تولّى بعض الأعمال في حداثته فكان من جملة الكتبة أو أصحاب السجل في مجلس الملك «تشاء». يدوّن له القصص والتواريخ وكان مسؤولاً عن المكتبة الملكية برمتها، يطالع فيها من الكتب ما يريد، فقد أمضى قسماً من حياته كمؤرخ، وكأمين على الارشيف الرسمي في «لويانغ» عاصمة أسرة «تشو». ولما نضج رأيه دوّن تعاليمه التي أخذت شكل الديانة في أواسط القرن الثاني للميلاد، وقد اعتزل في آخر

حياته وعكف على حياة الزهد، والتأمل الفلسفي، ويعدّ لاوتزو مؤلف أعظم كتاب قرىء خارج الصين وهو كتاب الطريق والفضيلة «طاوتي ـ كنغ». كان لاوتزو متصوفاً يحب المتناقضات، وكان يدعو في فلسفته إلى القناعة والزهد والتسامح المطلق ومقابلة السيئة بالحسنة على عكس كونفوشيوس الذي كان يدعو إلى طريق لا إفراط فيه ولا تفريط، ومقابلة السيئة بسيئة مثلها. . ولم يؤمن بالعمل الحكومي كوسيلة لإسعاد الشعب كما لم يؤمن بالعقل والتفوّق العقلي مثل كونفوشيوس. وكان يقول دوماً «دعوا العقلانية، وتخلّصوا من الحكمة، ففي تركها سعادة البشرية». . فهو يرى أنه إذا تخلى الناس عن الدراسة والتعلم قلّ عدد اللصوص والمنحرفين في المجتمعات، وهو لا يعني من ذلك أنه ضد التعلّم أو العلم ولأنه كان يؤمن بأن الإنسان طيّب بفطرته. وأن فطرته الطيبة تغنيه عن وجود مؤدّبين أو مربّيـن. ومن أقواله: «إنّ من يقهر رغبات نفسه فهو إنسان جبّار».

ويقول كذلك: «تواضع، فإن تواضعك سيرفعك إلى أعلى المراتب». وهناك خلاف حول ما إذا كان لاوتسي شخصية تاريخية حقيقية أم أنه مجرد خرافة أو أسطورة. وكان بين فلسفته الخلقية وفلسفة كونفـوشيوس خـلاف قومي. . يرى لاوتسي أن الخير ليس في محاولة إصلاح المجتمع الفاسد بالعمل والنشاط والدعوة بل الخير كل الخير في الزهد والاعتزال واللامبالاة.

ويردّ عليه كونفوشيوس الشّاب يحاوره قائلاً: «إذا كان واجب كل فرد من أفراد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف،فمن الذي يبقى في المدن يعمّرها؟ وفي الأرض يفلحها ويزرعها؟ وفي الصنائع يمهر فيها؟ ومن الذي يعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان؟ وإذا كان الاعتزال مقصوراً على الحكماء والفضلاء فمن الذي يربّي الإنسان ويؤدبه؟ أم أن الناس يُتركون حائرين بلا هادي ولا مُرشد؟».

كما اختلفا في أسس المعاملة بين الناس، يقول لاوتسي: «إن الصفح والعفو هو ما يجب أن يعامل به المسيء».

ويقول كونفوشيوس: «إن المسيء يُعامل بالعدل، ولكن ليس من العدل العفو عن سيئاته بل يجب أن يؤخذ بجريرة أعماله، فالمسيء لا يُعفى عنه ولكن يُعدَل معه، لا يظْلِمُ ولا يُظلَمُ ومن أشهر فلاسفة مذهب الطاوية «تشانغ تسي» الذي عاش في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، اشتهر بأسلوب أدبي جميل، وكان يؤمن بالتناقض، وخاصة التناقض بين الصواب والخطأ وبين الخير والشر، والحياة والموت، وغير ذلك. وقد حلم ذات مرة بأنه فراشة فتساءل في نفسه: هل هو حقاً رجلٌ حَلِمَ بأنه فراشة؟ أم أنه فراشة حَلِمَت بأنها رجل؟ واشتهر كذلك فيلسوف آخر من الطاوية هو «هوى تزو» (370-319 ق.م)...

وقد كتب كتباً كثيرة، وكان له آراء غريبة جداً، فهو يقول مثلاً: «إن البيضة يجب أن يكون لها ريش، لأنها حينما تصبح دجاجة يظهر لها ريش».

ويقول: «إن النار ليست حارّة، وإنما أجسامنا هي الحارّة، وإنه لا نهاية للشيء الذي نقسمه إلى أنصاف». وغير ذلك من أمور غريبة وعجيبة...

* * *

دِيانة أهل اليابان

1 ـ الشنتوية:

وهي الدين الأصيل في بلاد اليابان، وتعني كلمة الشنتوية: «الطريق إلى الآلهة» وهي تقوم على تقديس أرواح الأبطال، والأباطرة، وتقديس قوى الطبيعة.. وليس لها مؤسس ولا عقيدة، ولا تعاليم مكتوبة، ومع ذلك فقد عاشت طويلاً في اليابان قبل دخول البوذية إليها في القرن السادس الميلادي، حيث اندمجت بها، ثم استقل عنها ثانية..

والشنتوية ديانة البلاط والدولة، وقد كانت في أدوارها الأولى نوعاً من عبادة الأرواح ولكنها تقلصت من تطور الأديان، ومع ذلك بقي كثير منها عالقاً في أذهان العامة من اليابانيين، فهي تظهر بوضوح في التعاويذ الخشبية أو الورقية التي تعلّق فوق أبواب المنازل، أو قطع القماش التي ترفرف فوق الآبار، أو الأشجار المقدسة، أو حبال القش التي تتدلّى فوق أبواب الهياكل، وعلى اليابانيين استرضاء هذه الأرواح..

ومن مميزات الشنتوية: عبادة الأسلاف، فاليابانيون يؤلهون الآباء والأجداد، ويبنون لهم الهياكل ويقدمون لهم الذبائح، وكانوا يؤلهون أيضاً الحيوان والنبات، كما كانوا يعبدون قوى الطبيعة كالنار والرياح والأجرام السماوية، والأنهار والصخور والشلالات فهم يؤمونها في مواسم معينة ويتقربون

إليها بالصلوات والتراتيل والقرابين. ولهم عقائد غريبة وخرافات اسطورية عجيبة في هذه العبادة، فهم يعتقدون مثلاً: أن لكل جبل مرتفع إلهاً أو قديساً يحرسه، ولا بد من ارضائه وتحاشي غضبه، فيحج الناس إلى قمته في مواكب دينية يرتدون ملابس بيضاء خاصة ليقوموا بتأدية الفروض الدينية، والصلوات الخاصة اتقاء لشره وطلباً لرضاه، يقدمون ما تيسر لهم من القرابين والأضحيات، وهم يعظمون إلهة الشمس حتى العبادة. ومن آلهتهم الطبيعية: إله الأرز الذي تكثر معابده في مناطق زراعة الأرز في البلاد، وهم يطلقون لفظة (كامي) على كل إله، أو أي شيء يسمو فوق الفرد، كالسماء مثلاً، أو سلطة الحكومة أو الامبراطور. . والشنتوية من الوجهة الخلقية ليست ديناً سامياً، وهي لا تعير اهتماماً للأخلاق والآداب، لأنها لا تقيم للفرد وزناً، إلا أنها اهتمت بناحية النظافة الشيء الكثير، فمن قواعدها: «الدّنس مصيبة، والرجس خطيئة، والطهارة الجسدية قداسة، وكل شيء يدنس الجسد أو الثياب مستقبح ومكروه» . . والشنتوية تعارض إقامة الزينات وزخرفة المعابد، ولا يخلو منزل من ضريح للشنتوية وصورة بوذية، ولوحة خاصة لأرواح الأجداد الذين يجب تقديسهم وتقديم القرابين لهم وحرق البخور من أجلهم. . .

مثل هذا الاعتقاد، غالباً ما نجده عند الأقوام البدائية، كقبائل الأمازون أو مجاهل افريقيا، والفرق كبير وشاسع بين الشنتوية، المذهب البدائي، وبين مذاهب البوذية والكونفوشية، التي جاءت اليابان من الصين، والتي تقوم على الفضيلة والأخلاق.

ومع ذلك فقد تمسك اليابانيون بالديانة الشنتوية، التي وقفت في وجه الديانة البوذية القادمة من الصين وكوريا في القرن السادس الميلادي، حتى ظهر راهب بوذي في القرن الثامن الميلادي تمكن من تأسيس نظام ديني جديد ذابت فيه الشنتوية، حيث ادمجت كل آلهة الشنتوية، على أنها مظاهر متجسدة لبوذا، وعلى أن يكون هذا شأن الميكادو في المستقبل، وأن يدمج الأباطرة ضمن هذه الآلهة الصغرى واندمجت الشنتوية في البوذية. . ويمكن القول إن معظم اليابانيين يعتنقون الديانتين معاً، وفي الوقت الحاضر ينظر معظم اليابانيين إلى

المعبد البوذي مكاناً وقوراً للعبادة، فهم يجرون فيه مراسم الجنازات والمآتم في حين أنهم ينظرون إلى معبد الشنتوية نظرتهم إلى مكان أكثر بهجة. فهم يقيمون فيه حفلات الزواج، أو تحقيق الأمنيات والسعادة.

وتنتشر المعابد البوذية والشنتوية في جميع أنحاء البلاد، ويكثر زوارها من الناس ليقوموا بفرائض الأدعية والصلوات. وعند زيارتهم لها يشدّ زوّار المعبد الحبل المدلّى على باب المعبد، ليلفتوا نظر آلهتهم إليهم قبل قيامهم بالصلوات، وتلاوة الأدعية فتقبلها منهم..

وبعد ثورة (1868م) استيقظ الشعور القومي عند اليابانيين، فأظهروا نفوراً من كل ما هو أجنبي، وأخرجت البوذية من حياتهم، وأزيلت تماثيل بوذا من الهياكل، وأوقف الكهنة البوذيون عن ممارسة نشاطهم وعادت الشنتوية ديناً قومياً في المرتبة الأولى. وقد وطدت الحكومة أركانها. وجعلت غايتها الاحتفاظ بعبادة الامبراطور، وخلود مركزه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص، والسمو به إلى درجة لا يشاركه فيها أحد.

ويعتقد اليابانيون أنهم صفوة الخلق، وأنهم أول الخلائق، وليس عندهم في حوادث الخليقة ذِكْر للأمم الأخرى، وهم يعتقدون أنه كان في بدء الخلق آلهة ثلاثة تولّد منهم مع مرور الزمن أزواج من الآلهة الصغرى، كل زوج منها أصل لنوع من المخلوقات، وكان آخر تلك الأزواج: «إيساناجي» و «إيسانامي» ومنهما نشأت الأرض والشمس والقمر وكل المخلوقات الحية.

ومن الآلهة اليابانية إله يُعبّر عنه بالشمس، انحدرت منه العائلة الحاكمة في اليابان وأول ملوكها «جيموتنو»، وهو مؤسس هذه الدولة، نبغ سنة (660 ق.م) وهو متسلسل من «إما تراسو» إلهة الشمس، وهي أكبر المعبودات الشنتوية، والملك عندهم يُسمى «تيوشي» أي ابن السماء.

ويعتقدون أن الشمس عندما ولدت «تنجو» سلمت إليه طريق الآلهة، وعاهدته على بقاء السلطة في نسله ما بقيت الشمس والقمر، وألقت إليه ثلاثة مواد مقدسة هي: السيف، والمرآة، والحجر، وقالت له «انظر إلى هذه المرآة، نظرك إلى روحي، واحفظها معك، واعبدها كما تعبدني».

2 ـ عبادة الميكادو:

الميكادو هو زعيم قبيلة «يماتو» التي كانت أشد القبائل إحياءً لاحترام السلف وتقديرهم، والتي صار رجالها سادة اليابان فيما بعد. وكان الميكادو زعيمهم، ومركز دينهم، ومحور عبادتهم، ويزعمون أن الشمس تمت إليهم بصلة القربى. ومنها انحدر الميكاد وعدّوه ممثل الشمس وآلهة السماء على الأرض، وقد ألهوا بعض آباء الميكادو، وشبهوه بالشمس، وبنوا له هيكلاً خاصاً، وجعلوا أخته كاهنة له. وأصبح بناء الهياكل للآباء سنّة عند اليابانيين منذ ذلك الحين. وصار لكل هيكل كهنة وسدنة خاصة به يكون من أعوانه أو من أعقابه. وهم يعدّون الامبراطور والدولة كل شيء في حياتهم.. وكثيراً ما يضحّي الياباني بنفسه في سبيل الامبراطور، ويعدّون هذه التضحية شرفاً عظيماً لهم، وتُعدّ عبادة الامبراطور من المظاهر البارزة ومن القواعد الأساسية في ديانة اليابان. ولا يخلو بيت من بيوتهم من مذبح عليه تماثيل لبعض السلف، تقدم لها العبادة في كل حين، وبقيت كذلك حتى الحرب العالمية الثانية حيث صدرت قرارات بتعطيل عبادة الامبراطور، وحاولت القضاء على الوطنية المتطرفة التي تغرسها الشنتوية في نفوس اليابانيين.. وقد اعتقد اليابانيون بتقديس الامبراطور، فهم يعدونه أباً للشعب، ويخلصون له كل الإخلاص، ويدينون له بالولاء، ويعود أساس تقديسه وتأليهه إلى اعتقادهم بأن جده الأول نزل من السماء ليحكم البلاد.

تقول إحدى الأساطير اليابانية: «عندما تكونت بلاد اليابان وهي أول بلاد خلقت على سطح الأرض أرسلت آلهة الشمس (وهي ابنة الآلهة الذين خلقوا السموات والأرض) أرسلت حفيدها من السماء ليحكمها، قائلة له: «هذه البلاد سيكون أحفادي فيها سادة إلى الأبد، وأرجو لها البقاء ما بقيت الأرض والسماء» فنزل الحفيد إلى اليابان وفي صحبته حاشية كبيرة، واتخذ له مكاناً مختاراً بجبل «تاكاشيمو» جنوب جزيرة كيوشيو.. وهناك وُلد حفيده الرابع «جيمو» فكان أول امبراطور وُلد في أرض اليابان ونشأ فيها، وتمكن من تأسيس الامبراطورية وحكمها، واعتلى عرشها سنة (660 ق.م) وهي أقدم أسرة حاكمة في العالم،

فقد جلس على العرش من أبنائها (125) امبراطوراً، كان آخرهم الامبرطور الحالي الذي تسلّم الحكم بعد وفاة أبيه الامبراطور «هيرو هيتو» عام (1989 م).

ويعدّ الامبراطور رمز الدّولة ووحدة الشعب.. وفي بيان صادر عن وزارة المعارف اليابانية عام 1937 جاء فيه: «إن أرضنا بلد إلٰهية يحكمها الامبراطور، وهو الإله».

3 ـ الكونفوشيوسية في اليابان:

دخلت كتب كونفوشيوس وتعاليمه المكتوبة إلى اليابان عن طريق الصين حوالي سنة (405 م) بواسطة شخص كوري اسمه «وانفين»، وقد انطبعت أخلاق كونفوشيوس وتعاليمه على الإنسان الياباني.. وتكاد تكون فلسفته وتعاليمه دستوراً غير مكتوب. بحكم تصرفاتهم ويؤثر في نفوسهم.. فالصغير يحترم الكبير، والمرؤوس يحترم رئيسه. والمرأة تحترم زوجها جداً، والعلاقة بين الجميع قائمة دائماً على أساس الاحترام المتبادل والحب الأخوي. والارتباط الأسري الذي لا يزال قوياً بين الآباء والأبناء، بين السلف والخلف في الأسرة اليابانية.

الدِّيانَات
عِندَ الفُرسْ

الفصل الأول

الديانة القديمة:

عبد الفرس قديماً مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والنار والماء والريح والعاصفة والخير والشر. وأولوا عُنصري النار والنور اهتماماً خاصاً. والملاحظ أن ديانتهم كانت تقوم على مبدأ التناقض بين فكرتين، فقوى الطبيعة إما أن تدر الخير أو تبعث الشر. وكانت الآلهة المتعددة هي عماد ديانتهم إلى أن ظهر فيهم زرادشت نبي المجوسية في القرن السابع قبل الميلاد، فوجدهم يعبدون الحيوانات، ويعبدون أرواح السلف كما يعبدون الشمس والقمر أيضاً. وكان من أكبر الآلهة في الدين الآري السابق لزرادشت:

الإله مترا Mitra: إلهة الشمس وقد أخذها عنهم الرومان فيما بعد..

الإله أنيتا Anita: إله الأرض والخصب والثروة..

الإله هوما Homa: الثور المقدس الذي مات ثم بعث حياً ووَهَبَ البشر دَمَهُ شراباً ليسبغ نعمة الخلود..

وكان الإيرانيون القدماء يتصورون أن العالم مليء بالشياطين التي تناصب البشَر العداء وأن هناك كائنات روحانية تضفي على البشر الخير والبركات. واقترنت تلك الكائنات عند الإيرانيين بالنور مثل ما اقترنت الشياطين بالظلام

وكان النور والظلام ظاهرتين طبيعيتين اقترنا بالخير والشر عندهم.

وكان المجوس وهم الكهنة الذين يعبدون هذه الآلهة البدائية، يقدمون لها القرابين ويصلون لها. حتى جاء زرادشت واستنكر عليهم عملهم هذا وثار عليهم.. وأعلن أن العالم كله هو «أهورامزدا» إله النور والسماء. وهذه دعوة التوحيد... وقد آمن به الملك داريوس، واعتنق مذهب الزرادشتية الجديد، وحارب الكهنة المجوس أصحاب العبادات القديمة وجعل الزرادشتية دين الدولة فانتشرت انتشاراً عظيماً.. وتدور الماجوسية كلها على قاعدتين هما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة. وبيان سبب خلاص النور من الظلمة.. فالنور والظلام جوهر الدين الجديد.

الفصل الثاني

الدِّيانة الزّرادشتية "المزديّة"

1 ـ مبادىء وتعاليم:

تطورت عقائد الفرس بعد القرن السادس قبل الميلاد، فترفعت عن المادة وعبادة قوى الطبيعة، وانتقلت إلى طور الروحانيات، وانصرف مجوس فارس إلى إحلال إله النور «آهورا ـ مازدا» أو «أرمزدا» أي السيد الحكيم في المرتبة الأولى عندما استبدل زرادشت تلك العقائد الآرية المتعددة بدين جديد أسهل فهماً، وأكثر وضوحاً، عرف فيما بعد باسم «المزدية». تمتاز هذه الديانة ببساطة طقوسها ومراسمها فلا هياكل ولا معابد ولا أنصاب، بل مذبح حجري منصوب في العراء يضرم عليه الكهنة النار، وينصرف المتعبدون للصلاة ويحتسون شراباً مسكراً، فيغيبون في نشوة مقدسة، وقد لاءمت هذه الديانة ببساطة مظهرها طريقة العيش الساذجة في بلاد صحراوية «كإيران».

تقوم أسسها على وجود إلهين متناقضين متنازعين: إله الخير، إله الشر. وبناء عليه فقد قسّم زرادشت جميع الأشياء الموجودة في الكون إلى نوعين متضادّين هما: الخير والشر. وأطلق على إله الخير اسم «أهورا مزدا» وعلى إله الشر اسم «أهريمان»، إن التثنية اختصت بالمجوس حتى أثبتوا هذين الأصليين القديمين المدبرين.. وقد دعا زرادشت الناس إلى حب الخير وفعله للتغلب على الشر بشكل دائم، واعتبر النور خيراً، والظلمة شراً، وبما أن الشمس هي

أكبر وأعظم مصدر للنور فيمكن اعتبارها رمزاً لإله الخير.

عندما جاء زرادشت في أواسط القرن السادس قبل الميلاد وحاول تشذيب المعتقدات والطقوس المزدية فقد حمل بشدة على النشوة المقدسة، ولكنه أبقى على مذابح النار ثم انتقل إلى إصلاح جوهر العقيدة، فقال بوحدانية «أهورامزدا» واعتبر أن سائر الآلهة ليسوا إلاّ أرواحاً للخير والشر دائمة الصراع والتناقض حتى تمّ إعلان انتصار أهورا مزدا وأنصاره على أرواح البشر جميعاً. . . وقد ادّعى بأن وحي الديانة الحقيقية قد نزل عليه فجمع تعاليمه في كتاب سمّاه «الأفستا». ويعتقد زرادشت أن طريق الإيمان الكامل والسبيل الوحيد إلى الإله الواحد هو: «الاعتقاد الطيب والكلمات الطيبة والأعمال الطيبة» وقد انتقل بالدين إلى مرحلة التطبيق الأخلاقي، فحمّل الإنسان مسؤولية أعماله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وهو لا يعتبر أن الإنسان مجرد أداة تتحرك بلا إرادة في الصراع الدائر بين الخير والشر، وإنما له إرادة حرة. . والمفروض أن ينقاد لأعمال الخير فيساعد «أهورامزدا» في القضاء على خصمه «أهرمان»، وهو يطلب من الإنسان أن يجعل هدفه في الحياة مكافحة الأرواح الشريرة فلا ينقاد إلى غواياتها، وأن يحافظ على الطهارة والنظافة ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الإطلاق فعلى الإنسان قبل كل شيء أن يعبد الله ويتقرب إليه بالطهر والتضحية والصلاة. يقول زرادشت وهو يحاور كبار كهنة الملك «كتشاسب» شارحاً مبادىء دعوته وتعاليمها: «لم أجىء لأبشر بعقيدة ولكن لتحسين عقيدة قديمة. والذي أعلمه هو حقيقة الخالق، وهو لهذا خير. أما عبادتكم الأصنام فليست حقاً وهي من أجل ذلك شر».

وقد أوضح زرادشت أن الآلهة المتعددة كالشمس والنار والنجوم والجبال وغيرها بأنها ليست آلهة زائفة فحسب، بل قال إنها ليست آلهة على الإطلاق وهي جميعها من صنع الخالق.

تقول الأوفست: إن على الإنسان واجبات ثلاثة هي «أن يجعل العدو صديقاً وأن يجعل الخبيث طيباً وأن يجعل الجاهل عالماً». ويحض دين

زرادشت على التقوى والشرف والأمانة، ويحرم الربا ويجعل الكفر رأس الخطايا، وكان يهدف دائماً إلى تهذيب الأخلاق والتمسك بالخير والعمل الصالح. وهذا هو العهد الذي يتخذه الزرادشتي على نفسه كما ورد في أوفستا:

«لن أقدم على سلب أو نهب، ولا تخريب أو تدمير، ولن آخذ بالثأر، وأقر بأني أعبد الإله الواحد أهورامزدا، وأن أعتنق دين زرادشت وأقر بأني سألتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح».

ويحث زرادشت أتباعه على أن يقاتلوا في سبيل الإله الحكيم باتباع الخصال الست التالية:

1 - طهارة الفكر والقول والعمل.
2 - النظافة والبعد عن كل دنس...
3 - الإحسان بالعقل والقلب.
4 - الرفق بالحيوانات النافعة...
5 - القيام بالأعمال النافعة.
6 - تعليم من لم يتيسر لهم ذلك ومساعدتهم.

ومن يتبع هذه التعاليم يسلك سبيل الإله الحكيم الواحد الأحد. وقد دعا زرادشت الإنسان إلى أن يختار بين أن تكون له روح خيّرة تملأ نفسه بالخير والنور. أو أن تكون له روح شريرة تميل إلى الشر والظلام.. واعتبر أن الإنسان سينال جزاءه في الآخرة بمقدار جهاده لنصرة الخير على الشر والنور على الظلمة.

وتتلخص تعليمات زرادشت بمبدأين هما:

1 - أن للعالم قانوناً ثابتاً يسير عليه وله ظواهر طبيعية ثابتة.

2 - أن الكون كله خاضع لصراع بين الخير والشر.

وهو يؤمن أن أفضل الفضائل عنده الطهر والأمانة وهما اللذان يقودان الإنسان إلى الحياة الخالدة وبعد وفاة زرادشت، انتعشت الديانة الزرادشتية في

عهد الأسرة الساسانية (226-651 م). ثم أخذت تتضاءل في ظل الدولة الفارسية عاماً بعد عام. حتى جاء الفتح الإسلامي الذي حطم امبراطورية الفرس تماماً بعد معركتي: القادسية 636 م ونهاوند 641 م. وقضى عليها القضاء الأخير إلا من بعض العشائر قليلة العدد في بلاد فارس. وبعض البارسيين في بلاد الهند. الذين لا يزالوان مخلصين لتعاليم الكتب الزرادشتية المقدسة ويحفظونها..

وقد انقسم أتباع المجوسية إلى فرق دينية عديدة، تختلف فيما بينها بعض معتقداتها، من هذه الفرق الكيومرتية. الزروانية. السيسانية[1].

2 ـ زرادشت «المؤسس»[2] (660-580) ق. م:

هو زرادشت بن بورشب بن فذراسف بن أريكدسف بن هجدسف بن حميش بن باثير بن أرحدس بن هردار بن أسبيمان بن واندست بن هايزم بن أرج بن دورشرين بن منوشر الملك.

وكان من أهل أذربيجان يقال له «زراثوسترا»، وهو مؤسس الديانة الزرادشتية. ظهر من زمن كشتاسب بن لهراسب الملك، وكانت أمه «دعذويه» من بلاد الري وهو نبي المجوس، الذين أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند العوام من الناس. واسمه عند المجوس بستاه أو «الأوفستا» ولم تعرف حقيقة تاريخه بالضبط.

(أ) نشأته وحياته:

تذكر روايات التاريخ أنه منذ أن ولد الصبي بدأ «دوران سرون» كبير السحرة ونائب الملك في مقاطعة يرتعد فرقاً لأنه علم بولادته وأنه سيكون له شأن كبير في محاربة الأصنام وطرد السحرة والكهنة من حميع البلدان.. تمكن «دوران سرون» من إحضار الصبي بوساطة ثلاثة من سحرته، ووضعه وسط النار

---

(1) انظر الملل والنحل للشهرستاني.

(2) مروج الذهب للسعودي.

على المذبح وتركه وانطلق من المعبد مع سحرته معتقداً أن هذه هي نهاية زرادشت الصبي، ولما عادت إليه أمه من بيتها ولم تجده ذهبت إلى معبد النار لتصلي وتدعو الآلهة أن ترده إليها. وإذا بطفلها على المذبح يلعب وسط النار بابتهاج وسرور.

ولمّا فشل دوران سرون دبّر خطةً جديدة لقتل الطفل، فوضعه وسط الطريق العام حيث يمر قطيع من الماشية، ولكن الذي حصل أن أول بقرة من القطيع أسرعت نحو الطفل ووقفت تغطيه بجسدها لتحميه من بقية القطيع.. حاول مرة أخرى التخلص من الصبي فوضعه في وكرٍ للذئاب ظاناً أنه إذا لم تقتله الذئاب فسيموت جوعاً، ولكن ما حصل عكس ما توقع كبير السحرة هذا، فلم تجرؤ الذئاب على دخول الوكر، وإنما دخلته عنزتانِ حلوبتان بغير خوف وبدأتا ترضعانه...

قصص كثيرة قيلت حول زرادشت لذلك توقع له والداه مستقبلاً عظيماً، وقرّرا تعليمه أحسن تعليم وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره أرسله أبوه ليدرس مع «بورزين - كوروس» الحكيم الإيراني المشهور حينذاك، وظل زرادشت برفقته مدة ثمانية أعوام، تعلّم منه خلالها الشيء الكثير. وعندما عاد إلى موطنه ارتدى القميص المقدس، وتمنطق بالحزام رمزاً لتعميده في عقيدة شعبه ثم تطوع للدفاع عن وطنه ضد أعدائه التورانيين. وبدأ بمعالجة الجرحى والمرضى من الجنود استمر في ذلك العمل مدة خمسة أعوام، وبعدها نصحه أبوه بالزواج والاستقرار، وتزوج فعلاً بفتاة اسمها «هافوية». واستمر في خدمة المرضى وعلاجهم وظل يعمل بين الفقراء والمحتاجين مدة عشرة أعوام، محاولاً تخفيف الآلام عنهم قدر الإمكان، وراح يبحث عن مصدر العناء ليجعل الناس سعداء.. قال لزوجته يوماً: «سأذهب بعيداً لأعيش ناسكاً فترة من الوقت، أفكر خلالها في الخير والشر، فربما تبيّنتُ مصدر العناء في العالم».

وفعلاً ذهب بعيداً نحو جبل «سابلان» وظل أياماً وشهوراً يفكر فوق الجبل محاولاً أن يفهم سر هذا العالم باحثاً عن مصدر الشقاء والآلام البشرية فيه..

(ب) نبوة زرادشت:

لم يذكر القرآن الكريم أسماء كل الأنبياء والمرسلين بل ذكر بعضهم. قال تعالى: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾[1].

فهل كان زرادشت ممن لم يقصصهم الله تعالى على نبيّه الكريم؟ يقول ابن عباس: «إن أهل فارس لمّا مات نبيهم كتب لهم إبليس المجوسية». فهل كان زرادشت نبياً؟...

تذكر روايات التاريخ: أن زرادشت جلس ذات يوم أمام كهفه في جبل «سابلان» حيث كان يتعبد ويبحث عن الحقيقة هناك، وهو يتأمل في غروب الشمس وراء الأفق، ولما حلّ الظلام بدل النور وقت الغروب، قفز زرادشت واقفاً على قدميه فرحاً لأنه أمسك بيديه سر الحكمة التي يبحث عنها، فقد أدرك أن اليوم فيه ليل ونهار، أي أنه فيه ظلام وفيه نور. فالعالم إذن يتشكل من الخير والشر وكما أن الليل والنهار لا يغيران طبيعتهما، وكذلك فالخير لا بدّ أن يكون خيراً دائماً والشر لا بد أن يكون شراً دائماً.. وأن آلهة الخير لا يمكن أن تصنع الشر، وآلهة الشر لا يمكن أن تفعل الخير. هذا هو سر الحكمة، وهذه هي الحقيقة التي طالما بحث عنها زرادشت حتى توصل إليها، وهي: أن العالم تحكمه قوتان ـ خير واحد وشر واحد ـ وإن الإله «أهورامزدا» هو قوة الخير، وأن «أهرمان» هو قوة الشر.. ويقول زرادشت: إن لهذه الآلهة مساعدين سماويين يسمون الملائكة، وقال إن أهم هذه الملائكة سبعة هم: العقل الخيّر، والنور، والحكمة، والخير، والتقوى، والخلود، والأمر الصالح...

(جـ) بدء الدعوة ونشرها:

بينما كان زرادشت فوق الجبل مستغرقاً في تفكيره، إذا به يحسّ فجأة بنشوة روحانية تغمره وتنتشر في جميع أنحاء جسمه وتملؤها نوراً وهّاجاً. ثم يرى كائناً نارياً يدنو منه وكأنه عمود من نور، حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان.

---

(1) سورة النساء، آية: 164.

يحمل في يده عصاً من اللهب ولم يلبث ذلك الكائن أن حلّق فوق رأس زرادشت في صورة عمود آخر من النور، وأمره بخلع ملابسه ثم أخبره أنه «فاهومانا» كبير الملائكة، وأنه جاء ليقوده إلى السماء ليحظى بشرف المثول بين يديّ رب السماء نفسه. وصدع زرادشت بالأمر، ولم يلبث أن وجد نفسه لدى إله النور الأكبر الذي يحيط به ضياء عظيم.. وهناك تلقى كلمات الحق والحقيقة، وتعلم أسرار الوحي المقدسة.

واستمع إلى أمر النبوة ثم أفاق من نشوته وعاد إلى إنسانيته، وتكررت معه التجربة الروحانية ثلاث مرات وعندها انتبه إلى نفسه وقال: «الآن.. سأنزل إلى الناس وأقود شعبي باسم (أهورا مزدا). من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الشر إلى الخير». فهل نعدّ هذه الحكايات علامات نبوّة وإلهامُ وحي حقاً؟ وهل يمكن اعتبار زرادشت نبياً مرسلاً؟ قال تعالى: ﴿ولكل أمة رسول، فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يُظلَمون﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾[2] نزل زرادشت من فوق الجبل متحمساً لإعلان الحقيقة لكل الناس من أمته، فلم يستمع إليه أهل إيران في بداية دعوته، لأنهم كانوا عارقين في عبادة الآلهة الآريّة المتعددة، وأصنامها، والتي يعدونها حقيقة ملموسة بين أيديهم، بينما الخير والشر وآلهتهما لا يمكن رؤيتهما أو سماعهما أو لمسهما. حتى أن أسرة زرادشت نفسها لم تؤمن به ولا بالتعاليم التي جاء بها...

استمر بدعوته عشر سنوات، ذاق بها الأمرّين وهو يبحث عن مؤمنين يتبعونه، وقد تحمّل خلالها من العنت والشقاء والعذاب ما لا يتحمله بشر. وقد تخلّى عنه أهله وعشيرته منذ أن أعلن فيهم رسالته، وطردوه، فترك مسقط رأسه مهاجراً من بلدٍ إلى بلد، تسبقه سمعته وصيته، ورهبته في النفوس. حتى خافه الناس وأبوا استضافته، وكانوا يغلقون الأبواب في وجهه أينما اتجه، فلا يجد له

---

(1) سورة يونس، آية: 47.
(2) سورة النحل، آية: 89.

مأوى يبيت فيه لياليه الطويلة القاسية إلّا حظائر الخيل والحمير. ومع ذلك استمر في دعوته يعظ الناس ويرشدهم ويجادلهم في دينهم.. ولكن أحداً لم يتبعه حتى كاد يسيطر عليه اليأس الكامل، ولكن الإله «أهورا مزدا» لم يتركه ولم ينسه، فقد نزل عليه الوحي في هذه الفترة سبع مرات، ظهر له في إحداها أهورا مزدا نفسه، وظهر له بعد ذلك الملائكة الستة الكبار ليلقنوه أصول الحكمة وهؤلاء الملائكة هم أساطين العرش، فثلاثة منهم ذكور يمثلون:

التفكير الطيب، والإحسان، والحق الأسمى. وثلاثة منهم إناث يمثلن: الفداء، والخلود، والتقوى، وقد لقنه كل منهم حقيقة من الحقائق الكبرى. فتعلم زرادشت حقيقة النار المقدسة والأسرار التي تنطوي عليها الأرض، وحياة الحيوانات والنباتات، وخواص المعادن والسر في وجوب العناية بالماء، والصراع الأزلي بين الخير والشر..

وبعد مرور عشر سنوات من العذاب والشقاء، بدأ يدخل بعض الناس في دينه الجديد، وكان ابن عمه «ميتيوماه» من الذين آمنوا به وصدقوه، وقد نصحه أن يبدأ دعوته بالمتعلمين من أبناء قومه لصعوبة فهم تعاليم الدين الجديد، فتوجه زرادشت إلى «بلخ» يشرح عقيدته للملك «كاشتاسب» ويعلمه طريق الخير والشر ولم يتمكن من مقابلته إلا بعد أن أبدى بعض المعجزات: فقد أمسك بيده كرة من النار تلتهب دون أن تحرقه. وأنبت شجرة أرز على عتبة قصر الملك.. وعندما قابله قال له: «أنا زرادشت سبتاما نبي الإله الواحد الحكيم، جئت إليك أيها الملك لأحوّل قلبك من عبادة الأصنام الشريرة التافهة إلى مجد إلهٍ حق، خالدٍ حكيم». طلب منه الملك برهاناً على صدق دعوته ورسالته فقال زرادشت: «إني أعلم كلمة الحق ضد كلمة الباطل فإذا شئت أنت وحكماؤك أن تسألني فسأرد عليكم بما يثبت لكم أن طريق العبادة الذي تسيرون فيه وتمسككم بتلك الأصنام خطأ يشوبه ظلم حالك وأن طريق الإله الحكيم الواحد خير مشرق كضوء النهار».

وبعد حوار مع الملك وكهنته تمكن من إقناعهم برسالته وأنه نبي من عند إله حكيم. واعتنق الملك تعاليم الإله الواحد وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق

لهذه العقيدة الجديدة وبعدها تدفق الناس على زرادشت يدخلون في دينه أفواجاً. إلا أن السحرة والكهنة اتهموه بأنه كذاب شرير وقالوا ذلك للملك الذي دخل الشك نفسه فأرسل من يفتش غرفة النبي.... فعثروا على رؤوس قطط وكلاب ميتة وعظام منوعة وشعر وأظافر مما كان يستخدم وسيلة للسحر في تلك الأيام. فقبض عليه الملك وسجنه وأمر الناس بالعودة إلى عقيدة الآباء والأجداد وارتد عن الإيمان بدين أهورا مزدا. ولحسن الحظ عند زرادشت أن حصان الملك مرض حتى أصبح عاجزاً عن الوقوف على قوائمه. وحاول أطباء البلاط وكهنته علاجه واستعانوا بآلهتهم وأصنامهم ولكن دون جدوى، فعرض زرادشت على الملك أنه يستطيع معالجة الحصان بشروط أربعة وهي:

- أن يعتنق الملك دينه ويؤمن بتعاليمه وألا يهجرها أبداً..
- أن يعتنق ابنه الأمير «أسفنديار» تعاليمه وأن يجعل حياته وقفاً على نشر دينه في كل مكان وبكل الوسائل..
- أن تعتنق الملكة تعاليمه وتؤمن بأهورا مزدا وتترك دين أهرمان..
- معاقبة الذين تآمروا ضد واتهموه باطلاً بالسحر والكذب..

وفعلاً تمكن من علاج الحصان حتى شفاه وأنقذه من مرضه فأصدر الملك أمراً بالإفراج عنه. وتنفيذ كل الشروط بحذافيرها وعاد إلى دين زرادشت من جديد.. بدأت الدعوة بالانتشار سريعاً وارتفعت مكانة زرادشت عند الملك فقد عيّنه كبيراً للكهنة في بلاط الملك وزوج ابنته «بوروكيستا» إلى رئيس وزراء بلخ. وانتشرت الدعوة خارج حدود إيران وسرعان ما انتشرت تعاليم زرادشت في جميع أنحاء إيران وخارجها بالرضا أو بالإكراه، كما حصل في مملكة توران المجاورة. ولما قوي التورانيون هاجموا إيران بعد سبعة عشر عاماً مدينة بلخ وسقطت بأيديهم واجتاحوها.

(د) وفاة زرادشت:

كان زرادشت وقت الاجتياح في معبد النار يصلي مع ثمانين من كبار الكهنة يدعون ربهم لإنقاذ شعبهم ومناصرتهم في حربهم المقدسة وبينما هو

راكع أمام النار طعنه الجنود التورانيون داخل المعبد في ظهره وقتلوه. وكان عمره 77 عاماً كما أعملوا سيوفهم في الكهنة جميعاً. دامت نبوة زرادشت في قومه 35 سنة ثم خلفه العالم «خاناس» وكان من أهل أذربيجان وهو أول موبذ قام بالفرس بعد زرادشت وقد نصبه عليهم «بستاسف» الملك. لقد اعتقد المجوس أن عقيدتهم هي الأفضل في العالم وهم يحرمون على أي إنسان أن يعتنق هذا الدين إذا لم يولد زرادشتياً.

3 ـ الكتب المقدسة عند الزرادشتية:

هي مجموعة من الكتب جمعت فيها أقوال زرادشت وأفعاله وأدعيته وأعماله من قبل أصحابه ومؤيديه سميت بالأبستا «الابستاق»، وهي قسمان: كتاب الأبستا ومعناه المعرفة وكتاب زنداي وهو تفسير لكتاب الأبستا وضعه علماء الدين. وتشتمل هذه الكتب مجموعة من الأناشيد والأقاصيص والأدعية والطقوس الدينية والقواعد الخلقية وفيها أوامر ونواهٍ. وفيها الوعد والوعيد والكثير من العبادات والشرائع.. واستمر العمل بأحكام الأبستا حتى عهد الاسكندر عندما قتل دارا بن دارا، حيث أحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب الذي جمع في اثني عشر ألف جلد ثور بالذهب، واستمر الفرس والمجوس على قراءة سورة فيه يقال لها «إسناد» إلى وقت طويل. وقد عمل زرادشت تفسيراً للأبستا سماه «الزند» وهو عندهم كلام الرب المنزل على زرادشت وتفسيراً للتفسير سماه «بازند».

وبعد وفاة زرادشت عمل علماؤهم تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لسائر التعليمات سموه «باردة» ويدور معجم هذا الكتاب على ستين حرفاً من أحرف المعجم وليس في سائر اللغات أكثر منه حروفاً وفيه إحدى وعشرون سورة في كل سورة مائتان من الأوراق ويحتوي خمسة أسفار مختلفة ونصوصه مضطربة في بعض أقسام الكتاب فقرات من أصل بابلي قديم كالتي تصف خلق الدنيا وتسلسل الناس من أبوين وإنشاء جنة على سطح الأرض. وغضب الخالق على خلقه واعتزامه أن يسلط الطوفان عليهم ليهلكهم جميعاً إلا طائفة منهم. ومع ذلك

بقيت الصبغة الفارسية دارجة في كثير من شواهد هذا الكتاب المكتوب بالفارسية القديمة. والفكرة السائدة فيه هي ثنائية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع بين الإله أهورا مزدا والشيطان أهرمان الذي يدوم مدة اثنتي عشر ألف عام على شكل دورات متتالية وقد عجز المجوس عن حفظ كتابهم هذا فصار علماؤهم وموابذتهم يأخذ كثير منهم بحفظ أسباع أو أرباع أو أثلاث من هذا الكتاب. فيبتدىء أحدهم بما حفظه من جزئه فيتلوه ثم يبتدىء الثاني منهم فيتلوا جزءاً آخر وهكذا إلى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب لعدم استطاعة الواحد منهم حفظ الكتاب بكامله.. وبعد إيمان الملك كشتاسب بمبادىء الزرادشتية أمر بذبح 12 ألف بقرة ودبغ جلودها وربطها بخيوط من الذهب الخالص وكتب عليها بحروف من الذهب جميع تعاليم زرادشت نبي الإله الواحد التي سميت بالأوفستا.

4 ـ الآلهة المزدوجة (الثنوية):

اعتقد زرادشت بوجود إلهين متضادين يقوم بينهما صراع أزلي وقال أن النور والظلمة أصلان متناقضان وهما مبدأ موجودات الكون ويتمثلان في:

(أ) أهورامزدا:

وهو إله النور والحق والطهر والصحة والحكمة والخير وهو الذي خلق كل ما هو خير في هذا الكون فخلق الأرواح الطيبة وخلق النجوم والكواكب والأرض ثم خلق النور الأول ثم خلق «كيومرث» الإنسان الأول. وهو قديم أزلي منزّه من كل نقص، لم يلد ولم يولد، وان يموت وهو روح الأرواح يَرى ولا يُرى لا تُدركه الأبصار واحد لا شريك له، ولا ضدّ له ولا نِدّ، موجود في كل مكان ولكنه لا يُرى في أي مكان يعلم الحاضر والمستقبل، كما يعلم الغيب قادر على كل شيء، وهو القوة الخفية التي يتطلع إليها البشر لتشد أزرهم وتقوّي نفوسهم لهذا لا يقدر على إدراك حقيقته عقل بشري ولا يقوى على تصوره خيال إنسان.

يرمز له بالشمس والنار، فالشمس في السماء تمثل روح أهورا مزدا،

والنار في الأرض تمثل القوة العليا الخفيّة. وقد خلق هذا الإله عدة خصال يعتمد عليها في إدارة الكون وتدبيره، كالخير والعدل والعفو والخلود وكل الأعمال الصالحة...

(ب) أهرمان:

وهو إله الظلمة وروح الشر، يمثل الموت والمرض والرذيلة والجهل، والليل والجدب، والعقم وكل المفاسد في العالم، وقد خلق أرواحاً شريرة من جنسه، وخلق الغضب والقسوة والذنوب والسحر. كما خلق بعض الحشرات والزواحف المؤذية، وألقى بكل قوته ضد خصمه أهورا مزدا وخلقه، فقتل الثور الأول وقتل الإنسان الأول ولكن بذوره بقيت مخبأة في الأرض حتى نتج منها بعد أربعين سنة شجرة كبيرة خرج منها أول زوجين من بني البشر. ويقوم عرشه في ظلمة العالم السفلي. وهو ناتج عن الأرواح الشريرة، ويرئس الشياطين الذين لا يحصى عددهم ويظهرون في صورة كل من شاؤوا من صور البشر، وهم يتنازعون دائماً مع الكائنات الخيّرة التي تلحق بهم الهزائم المتكررة، ولكنها لا تقضي عليهم قضاء مبرماً حتى يستمر الصراع في هذا العالم. ولكن زرادشت يؤمن بأن الخير سينتصر في النهاية على الشر...

(جـ) صراع الآلهة:

العالم كله بما فيه من تناقضات وخطايا هو ميدان صراع دائم بين الخير والشر، تتمثل في الحرب الدائرة بين إله الخير وإله الشر.. يقول زرادشت: «إن العالم يمر بدورة زمنية مدتها اثنتي عشر ألف سنة، فيها أربعة عهود لكل منها ثلاثة آلاف عام يسيطر في كل عهد على التوالي أهورا مزدا وأهرمان وفي النهاية يتمكن إله الخير أهورا مزدا من حبس أهرمان في الظلمة، ولكنه تمكن من الإفلات والهروب، ودخل العالم فأحدث فيه الفوضى، وملأ الدنيا بالأرواح الشريرة، وأفسد النيران المقدسة بإضافة الدخان إليها. وسلّط على البشرية الأمراض والأوبئة، ولكن أهورا مزدا المنتصر في النهاية قال لأهرمان: «إن

طرقك "لا تتفق وطرقي وأفكارك لا تتفق وأفكاري، وكلماتك ليست كلماتي، وأعمالك ليست أعمالي، فلنفترق»...

وكان أهورا مزدا على علم بالمستقبل فعرض على أهرمان حقبة من الحرب مدتها تسعة آلاف سنة، وقبل أهرمان العرض لجهله، فهو لا يعرف غير الماضي. وانتهت الجولة بين الإلهين بهزيمة إله الظلمة وفزع وهرب ولم يتنبه إلا وهو يسقط في الظلمات ويقضي فيها مشلولاً ثلاثة آلاف سنة. وهكذا ينتصر الخير على الشر، ولم يبق في العالم إلا رب واحد على اتصال وثيق مع أبناء البشر..

5 ـ الحساب بعد الموت:

جاء في الأوفستا «يبعث الموتى، وتعود الحياة إلى الأجسام وتتردد فيها الأنفاس ويخلو العالم المادي كله إلى الأبد من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال» لقد آمن زرادشت بالبعث ويوم الحساب والجزاء في الآخرة، ويتولى أهورامزدا حساب الناس بنفسه ويعتقد الزرادشتيون أن الموت دليل على تغلب الأرواح الشريرة ولذلك فملامسة الميت تتنافى مع النظافة وتفسد الطهارة ولا يدفن الجسد الميت في الأرض حتى لا ينجسها، ولا يحرق في النار للأسباب ذاتها فهم يعرضون الجثث فوق برج مرتفع لتأكلها الطيور الجارحة والحيوانات المفترسة وعندما اقتبس الفرس بناء المقابر عن جيرانهم جع[1] هذه المقابر في أماكن مرتفعة وليس في جوف الأرض وقد تبدلت هذه العادة في عهد «قورش» و «دارا» وصار الفرس يدفنون أمواتهم بعد طلاء الجثة بالشمع. ومن معتقداتهم أنه عند حدوث الوفاة تبقى روح الميت ثلاثة أيام فوق رأسه تتلو الصلاة وتدعو للسعادة وتنعم بسلام في عالم الأحياء وفي نهاية الليلة الثالثة تهب نسمة عطرة يليها ظهور «ضمير الميت» أو «دينه» على شكل فتاة عذراء ذات قوة وبهاء في سن الخامسة عشرة نبيلة القامة بضّة الذراعين فائقة الجمال والروعة وعند سؤالها تجيب:

«أيها الشاب البهي الفكر والعبارات، الجميل الأعمال والنيات، فيّ

تقمّص ضميرك لقد أحببتني لعظَمة جمالي، ومن محبوبة جعلْتني مُحبّبَة ومن شهية جعلتني أشهى هكذا كرّم البشر أهورا مزدا».

وعندما تصل الروح إلى الجسر الفاصل الذي بناه أهورا مزدا تبدأ بتعدد ما كانت تقوم به في الحياة الدنيا من خير وأعمال حسنة، فتظهر العذراء وتقود الروح الصالحة إذا كانت أفكارها وأقوالها وأفعالها الصالحة إلى بيت الخلود أو الجنة لتلتقي هناك مع أهورا مزدا وتعيش معه بسعادة أبد الدهر. أما الأرواح الشريرة التي كانت أفكارها وأقوالها وأعمالها غير صالحة، فلا تستطيع اجتياز الجسر فتتردّى في الجحيم المظلم الذي يتناسب عمقه مع ما اقترفت كل روح من الذنوب. وعندما ينتهي العالم ويحل يوم الحساب الأخير تقوم مملكة أهورا مزدا وتزدهر، بينما يهلك أهرمان مع جميع قوى الشر هلاكاً لا قيام بعده. وتبدأ الأرواح الطيبة حياة جديدة في عالم خال من الشرور والآلام.

6 ـ صلاة زرادشت إلى أهورا مزدا:

مقتطف من الصلاة التي يؤديها زرادشت إلى الإله الواحد من كتاب ديورانت «قصة الحضارة» «هذا ما أسألك عنه، فاصدقني الخبر يا أهورامزدا مَن رسم للكواكب وللشمس طريقها؟ إن لم يك بك فبمن يكمل القمر وينقص؟ من ثبّت الأرض في الأدنى وأمسك السماء أن تقع؟ مَن ـ أيها الحكيم ـ خلق روح الخير؟ أي فنان أبدع النور والظلمات؟ مَن خلق الصباح والظهر والمساء، ليعيّن للّبيب واجبه؟ إنه أنت يا واحد أحد، اكشف عن أسرار المعرفة كي تساعدني على نشر دينك، أيها الإله الواحد الحكيم يا أهورا مزدا.

وأنتم أيها الشياطين، ويا مَن، يجلّهم، أنتم جميعاً صنيعة روح الشر والكبرياء. وعندما تعينون الأعمال السيئة، تريدون ممن يقوم بها أن يعتقد بحظوته لديكم، وأن يقلّل من حظوته لدى روح الخير وأن يتفلّت من سلطان السيد الحكيم والعدالة. فقد انتزعتم من الإنسان سعادته وخلوده. هذا هو العمل الذي ألهمكم روح الشر»...

7 ـ النار المقدسة عند المجوس:

كانت النار موضع عبادة وتقديس عند الآريين القدماء. ولما أقام زرادشت دينه الجديد، عدّ النار مصدراً للخير والنور، فأقرّ تقديسها وعبادتها، وجعلها جزءاً من الزرادشتية وقبلتها وبقيت معابد النار القديمة معابد للدين الجديد. وللنار كهنة يطلق عليهم اسم المجوس أو موقدي النار وكان أهم واجباتهم إبقاء النار مشتعلة دائماً، وممارسة الطقوس الدينية بتقديم الضحايا والقرابين لها. . ولكن زرادشت يؤكد أن تعاليم دينه ومبادئه لا تقوم على عبادة النار ولا يتخذ من النار إلهاً، ولكنه يرى النار إلى جانب الشمس رمزاً لقوة الإله الواحد الذي لا يمكن أن يراه أحد، ويقول أتباع زرادشت أنهم يقدسون النار كرمز ولا يعبدونها كإله وأنهم يعظمونها باعتبارها جوهراً علوياً شريفاً، وبتعظيمهم لها تحميهم من عذاب أليم. ويقدسونها لأنها كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، فهم يوقدون النار دائماً في المعابد والهياكل وعلى رجال الدين أن يحافظوا على اشتعالها باستمرار فيأتون إلى الهياكل خمس مرات يومياً ليقدموا الوقود إلى النار لتبقى مشتعلة وفي كل مرة يتلو الكاهن عبارات دينية يدعو بها الناس إلى التأمل في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح، وهي جوهر الزرادشتية التي تتضمن الكثير من الفضائل والآداب. كالأمانة وحسن المعاملة والعفة والطهر والإحسان إلى الفقراء والعطف على الغرباء. وكان أهل فارس يقدمون إلى الشمس وإلى النار وإلى أهورا مزدا القرابين من الأزهار والفواكه والخبز والعطور والضأن والجمل والخيل وذكور الوعل التي لا يصيب الإله منها إلا رائحتها. أما ما يؤكل منها فيبقى للكهنة والمتعبدين. والآلهة تحتاج إلى روح التضحية ولا تحتاج إلى لحومها. أما الفقراء فيتقربون إلى آلهتهم بالأدعية والصلوات وقد كان أهل فارس يقيمون المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور أو في قلب المدن أو على صخرة مرتفعة يصعد إليها بدرج حجري. ويقوم الكهنة عادة بإيقاد النار فوقها تكريماً لأهورا مزدا. فهم يعدون أن النار أكثر العناصر طهارة فكلها حركة وحياة وهي تزيل الظلمة وتطرد الشياطين فضلاً عن أنها ابن إله النور. وكل أسرة تعمل جهدها على أن تبقى النار مشتعلة دائماً في دارها ويعدون انطفاءها بؤساً للأسرة

ودليل شؤم لها ينذر بزوالها. وقد كان ملوك فارس يتفاءلون بها كثيراً فهم لا يسيرون إلى حرب أو إلى حملة عسكرية أو رحلة إلا وتتقدم مواكبهم المشاعل المقدسة ومحاريب النار اللاهبة..

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعادٍ وثمودٍ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾[1].

(1) سورة إبراهيم، آية: 9.

الفصل الثالث

الديانة المانوية

1 ـ نشأتها:

شهدت بلاد الرافدين في بداية القرن الثالث الميلادي صراعاً حاسماً بين ديانتين رئيسيتين هما: المسيحية والزرادشتية الروحيتين المتنافستين في المنطقة. ثم ظهرت ديانة جديدة بزعامة «ماني» سميت باسمه: الديانة المانوية. وقد انضم إليها عدد كبير من الأتباع والمريدين في زمن انتشارها فقد انتشرت عقيدة ماني خلال حياته من غرب الامبراطورية الرومانية إلى الهند ومن الصين إلى جزيرة العرب واستمر تأثيرها أكثر من ألف سنة، وقد أصبحت الديانة الرسمية للدولة الإيغورية في آسية الوسطى. في عهد الأمير بقوق خان (760-780 م) الذي اعتنقها واتخذها ديناً لدولته. كما أنها تمتعت بمكانة عالية داخل بلاد الصين من القرن الحادي عشر الميلادي حتى الرابع عشر، حتى أن بعض كتبها أُقِرّت في العقيدة الطاوية.

وقد تعرضت لاضطهاد شديد من المعترضين عليها ولاقى أتباعها الإهانة والقهر والتعذيب بدون شفقة ولا رحمة وخاصة في عهد العباسيين أيام المهدي (775 785 م) والمأمون (813-833 م) والمقتدر (908-932 م) حتى أنها انقرضت تماماً في هذه الأيام وأصبحت في ذمة التاريخ.

والديانة المانوية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات المأخوذة من

ديانات أقدم منها. تأثرت بها دون أن تنكرها فقد اعترف «ماني» بزرادشت وبوذا والمسيح كأنبياء حقيقيين. وادّعى أن يسوع بشّر به، ويعد ماني نفسه خاتم الرسل وأعظمهم أجمعين، ويعتقد أن دينه أفضل كل الأديان.

يقول ماني: «إن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر، ثم بعث شيئاً بعده، ثم نوحاً ثم إبراهيم، ثم بعث بالبددة «بوذا» إلى أرض الهند، وزرادشت إلى أرض فارس، والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب، ثم بولس بعد المسيح إليهم، ثم يأتي ماني خاتم الأنبياء ورسول إله الحق، إلى أرض بابل». فهو لم يعترف بنبوة موسى عليه السلام، مع أن يقر بوجود ديانات سبقته وأخذ عنها واقتبس منها، فالديانة المانوية تختلط بأفكار بوذية ومسيحية وتحتوي كثيراً من معتقدات زرادشت الثنوية. ومع ذلك شكلت ديانة جديدة مستقلة تماماً. .

وتدور العقيدة المانوية على الصراع الدائر بين النور والظلام، فهو جوهرها ومحور وجودها. . يقول ماني: «إن العالم كله مركز صراع بين قوتين: إحداهما مبدأ الخير ويقترن مع الضوء والروح. والثانية: مبدأ الشر ويقترن مع الظلام والمادة».

وهو يعتقد أن النور والظلام متجاوران لا حاجز بينهما، ويعد إن هذين المبدأين متساويان في القوة، وفي القِدَم، فهما أزليان. . وينكر وجود أي شيء من غير أصل قديم، بخلاف المجوسية التي قالت بحداثة الظلام وقدَم النور، ويعتقد المانيون باختلاف النور والظلمة في الجوهر والطبع والفعل والمكان والأجناس والأرواح والأبدان، ويحدد ماني خصائص كل من الكونين: النور والظلمة.

فالنور عنده هو العظيم الأول وهو الإله ملك جنان النور، وله خمسة أعضاء هي: الحلم، العلم، العقل، الغيب، الفطنة. وله خمسة أخرى روحانية هي: الحب، الإيمان، الوفاء، المروءة، الحكمة. فهو لهذه الصفات أزلي خالد، ومعه شيئان أزليان أيضاً هما: الجو، والأرض.

وأما الكون الآخر فهو الظلمة، وله خمسة أعضاء هي: الضباب، السموم، السم، الحريق، الظلمة.

ويعتقد أن الشيطان جاء من هذا الكون المظلم وهو يصوّره بشكل يناسب، فله رأس أسد، وجسم تنين، وجناح طائر، وذيل حوت، وأرجل أربع كالدواب[1]. وتقوم المانية على كثير من الأساطير، والتعليلات الكلامية والتصورات، ويقال عنهم: إن حكمتهم لم تكن فلسفة بل تعليلات كلامية فقط. ويقول الإسكندر الليكوبولي: «إن المانيين يفوقون بحكاياتهم أصحاب الأساطير كثيراً» ويصوّر هذا الفيلسوف الأفلاطوني مبادىء المانيّة بقوله: «إن افتراضاتهم ليست قائمة على برهان معقول بحيث يمكن أن نتولّى القيام في التحقيق فيها. كما أنها ليست مبنيّة على مقدمة منطقية أو مقدمتين. حتى نستطيع أن نرى ما الذي ينجم عنها، كما أن أي نبذة في الفلسفة في ثرثراتهم المعادية ليست أكثر من مصادفة، فهم يلجأون إلى الكتابات القديمة والحديثة على حد سواء، وينتحلونها على أنها إلهامات ووحي من السماء، ويجمعون أفكارهم منها»...

2 ـ المبادىء والمعتقدات المانية:

تتلخص الأخلاق المانوية ومبادئها الدينية ومعتقداتها في الوصايا الثلاث التالية التي جاءت على شكل تواقيع ثلاثة، كما ذكرها أوغسطين، وهي:

(أ) تنص الوصية الأوليّة على نظافة الفكرة والكلمة، والامتناع عن التفوه بأي شيء فيه تجديف على الله بالنسبة إلى تعاليم ماني، وتحتفظ هذه الوصية بالخير المطلق، والامتناع عن كل متعة يأخذها الإنسان عن طرق الفم، حتى لا تقوى عنده شهوة الجسد الحسيّة، فهي تحرم أكل اللحم لأنه ينشأ عن الشيطان كما تمنع شرب الخمور، واجتناب تناول مقادير كبيرة من الماء لأنه مادة جسدية،

---

(1) من كتاب الفهرست للنديم.

وتحرض على تناول الفواكه وخاصة ثمار البطيخ، وتستحسن تناول الزيوت وعصير الفواكه.

(ب) تنص الوصية الثانية على تحريم أي عملٍ يضرّ بحياة النباتات أو الحيوانات، فهي تحرم قطع أي نبات أو قتل أي حيوان، ومن تجاوز هذه المحرمات ينال عقاباً يتناسب مع عمله الإجرامي، فالإنسان الذي يحصد القمح سيولد من جديد على شكل سنبلة قمح، والذي يقتل فاراً سيكون في الآخرة فاراً..

(جـ) تفرض عليهم الوصية الثالثة تجنب العلاقات الجنسية والتخلي عن الزواج، ولو كان بغرض النسل، فقد حرّم ماني الزواج منعاً للنسل، واستعجالاً للفناء، فهو يؤمن بأنه يجب إنهاء العالم بالقضاء على أسباب الحياة، وهم يعدون الإثارة الجنسية من شهوات الجسد، فهي لذلك شريرة، كما يعدون إنجاب الأطفال أكثر سوءاً، لأنه يسبب استمراز الحياة، ويوفر تجميع ذرات النور.

وقد فرض ماني على أصحابه عشر فرائض هي:

ترك عبادة الأصنام، واجتناب الكذب، واجتناب البخل، والقتل، والزنى، والسرقة، وتعليم العلم، وتعليم السحر، وعدم الشك في الدين، وعدم التقاعس في العمل.

هذه شريعة ماني، التي فرضها على أتباعه ومريديه، فائتمروا بأوامره وانتهوا عمّا نهى، فهي تميل إلى التشاؤم، وتعمل على منع أسباب الحياة، والوصول إلى الفناء، ومع ذلك فهي تؤمن بالفرائض التالية: الإيمان بالعظائم الأربع، وهي الإيمان بالله، ونوره، وقوته، وحكمته، فالله تعالى ملك جنان النور، ونوره الشمس والقمر، وقوته الأملاك الخمسة: النسيم، الريح، النور، الماء، النار. أما حكمته فهي الدين المقدس، الذي يقوم على الصيام والصلاة ويعظّم المانيون عامة نهار الأحد، وأما خاصتهم فيعظّمون نهار الاثنين.

هكذا أراد لهم ماني، وهكذا أوجب عليهم، وأمرهم بالتنفيذ. فالذين

يقومون بتنفيذ هذه التعاليم والوصايا، يسميهم ماني «المجتبين» أو الصدّيقين، وهم الذين يوقفون أنفسهم على حياة غايتها فداء أرواحهم فقط، ويعملون على إعادة توحيد ذرات النور مع عالم النور.

وقد أوكل ماني إلى من يسميهم «السّماعين» القيام بالأعمال المحظورة على الصديقين، فهم يزودونهم بأنواع التغذية الضرورية، ولهم تعاليم خاصة بهم، فشريعة ماني لم تحرم عليهم أكل اللحوم، لكنها حرّمت عليهم المعاشرة الجنسية يوم الأحد حيث كتب عليهم الصيام فيه.

وكان أتباع ماني يرغبون في اتخاذ الخليلات أفضل من الزواج والالتزام به. أما الصيام عند الصديقين ففرض يومي الأحد والاثنين من كل أسبوع، باعتبارهما مقدسين، ويمكن أن يمتد الصيام عندهم مدة شهر كامل، قبل العيد الأكبر عندهم، وهو عيد الوليمة المقدسة[1]. وهو مطور عن البوذية فتعاليم ماني تميز بين من يسميهم الصديقين والسّماعين، ولكل منهم تعليمات خاصة يقوم بتنفيذها.

ورد في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان البيروني المتوفى سنة (1048 م) يقول: «ذكر ماني في إنجيله الذي وضعه على حروف الأبجدية الاثنين والعشرين حرفاً، أنه الفارقليط الذي بشّر به المسيح، وأنه خاتم النبيين، وأخبر عن كون العالم وهيئته بما يضاد نتائج البراهين والدلالات، ودعا إلى ملك عوالم النور، والإنسان القديم، وروح الحياة»...

وقال ماني بقدم النور والظلمة وأزليتهما، وحرّم ذبح الحيوان، وإيلامه، وإيذاء النار، والماء، والنبات على أي وجه، وشرّع نواميس يفترضها الصديقون ـ وهم أبرار المانوية وزهّادهم ـ على أنفسهم، من إيثار المسكنة، وقمع الحرص والشهوة، ورفض الدنيا والزهد فيها، ومواصلة الصوم والتصديق بما أمكن، وتحريم اقتناء أي شيء خلا قوت يوم واحد، ولباس سنة واحدة، وترك

(1) الوليمة المقدسة هي: الوجبة التي تم الاحتفال بها في نهاية الشهر الثاني عشر، أو نهاية شهر الصوم المانوي.

الفساد، ودوام التطواف في الدنيا للدعوة والإرشاد..

كما فرضوا على السّماعين وأتباعهم والمستجيبين لهم من المختلطين بالأسباب الدنيوية من التصديق رسوماً أخرى بعشر الملك، وصوم سبع العمر، والاقتصار على امرأة واحدة، ومواساة الصديقين وإزاحة عللهم... ويحكى عن ماني أنه حلل قضاء الشهوة في الغلمان، إن اهتاجت على الإنسان، ويستشهد على ذلك باختصاص كل واحد من المانية بخادم أمرد أجرد يخدمه، إلا أن سيرته تدل على خلاف ذلك[1]. لا شك في أن ديانة ماني فيها أفكار تشاؤمية عن الحياة، وأن غرض مؤسسها ماني الاستعجال في الفناء، وذلك بالحد من النسل أو منع الزواج، ويقال بأن ماني كان يحتقر النساء، ويشمئز من الجنس...

3 - كتب الشريعة المانويّة:

كتب ماني باللغة السريانية معظم كتبه، ما عدا كتاب واحد كتبه باللغة الفارسية الوسيطة، هو المجلّد المسمى «الشابرقان» الذي أوقفه ماني على الملك شابور بن أردشير، وقد احتوى المنشور الذي عرض فيه عقيدته، وذكر فيه عن نزول الأنبياء والرسل وعن الوحي النازل من السماء، كما تكلم فيه عن الإيمان بالآخرة.

وله كتاب «الإنجيل الحيّ» أو الإنجيل العظيم الذي أعدّه ماني ليكون نظيراً وبديلاً لإنجيل عيسى، ويلغي به كل الأناجيل المسيحية المعترف بها وفيه اثنان وعشرون سفراً.

وكتاب «كنز الأحياء» وفيه سبعة أسفار. وكتاب «سفر الأسرار» وفيه ثمانية عشر باباً. وكتاب «سفر الجبابرة» و«سفر الأحباء» وغيرها... وله عشرات من الرسائل باللغة القبطية تناولت كثيراً من المواضيع وبحث فيها..

---

(1) من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني..

4 ـ الحساب بعد الموت:

آمنت الديانة المانوية بيوم الحساب، كما آمنت بالثواب والعقاب لكل فرد حسب قوله أو فعله، وكل امرىء مجزي بعمله، وقد قسّم ماني أفراد البشر حسب أعمالهم وصلاحهم إلى ثلاث فئات:

ـ يقول ماني: إن هناك ثلاث طرق لحساب الناس، أحدها إلى الجنان، وهم الصديقون، فإذا حضرت الوفاة الصديق أرسل إليه الإنسان القديم إلهاً نيّراً بصورة الحكيم الهادي، ومعه ثلاثة آلهة: ومعهم الركوة، واللباس، والعصابة والتاج، وإكليل النور. وتأتي معهم البكر الشبيهة بنسمة ذلك الصديق، ويظهر له شيطان الحرص والشهوة، والشياطين، فإذا رآهم الصدّيق استغاث بالآلهة التي هي على شكل الحكيم، والآلهة الثلاثة، فيقربون منه، فإذا رأتهم الشياطين ولّت هاربة وأخذوا ذلك الصديق وألبسوه التاج والإكليل واللباس، وأعطوه الركوة بيده، وعرجوا به إلى فلك القمر، وإلى الإنسان القديم وإلى النهنهة أم الأحياء إلى ما كان عليه أولاً في جنان النور، ثم يبقى ذلك الجسد ملقى فتجتذب منه الشمس والقمر والآلهة النيرون القوي التي هي: الماء، والنار، والنسيم، فيرتفع إلى الشمس، ويصير إليها، ويقذف باقي جسده التي هي ظلمة كاملة إلى جهنم..

ـ أما الإنسان المحارب القابل للدين والبر والحافظ لهما من الصديقين، فإذا حضرت وفاته حضر أولئك الآلهة أنفسهم، وحضرت الشياطين، واستغاثوا بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين، فيخلصونه من الشياطين فلا يزال في العالم شبه الإنسان الذي يرى في منامه الأهوال ويغوص في الوحل والطين، فلا يزال كذلك إلى أن يتخلص نوره وروحه، ويلحق بملحق الصديقين ويلبس لباسهم بعد مدة طويلة من التردد...

ـ أما الإنسان الأثيم المستعلي عليه الحرص والشهوة، فإذا حضرت وفاته، حضرت الشياطين، فأخذوه وعذبوه وأروه الأهوال، فيحضر أولئك الآلهة ومعهم ذلك اللباس، فيظن أنهم جاؤوا لخلاصه، ولكنهم حضروا لتوبيخه

وتذكيره بأعمال، وإلزامه الحجة في ترك إعانته للصديقين، ثم لا يزال يتردد في العالم في العذاب إلى وقت العاقبة، فيلقي بهم في جهنم[1]..

ومن خلال التراتيل المانوية يظهر لنا أنها لم تهمل عذارى الجنة لمن احسن قولاً أو عملاً، وفيها يلتقي الإنسان الصالح في الحياة الآخرة مع ذاته السامية على شكل عذراء إلهية رائعة الجمال في الخامسة عشر من عمرها، تخبره أنها روحه، ترافقه في طريقه إلى الجنة، وهي تجسد أعماله على الأرض. وهذا مقتبس من العقيدة الإيرانية القديمة المتعلقة بالحياة الآخرة، وهي تؤمن بأنه سيقترب من الإنسان الصالح إثر موته أكثر من ثمانين ملكاً من الجنس الآخر، مزيّنين بالورود، ويحضّونه على التقدم نحو جنة النور ليتذوق السعادة هناك، فالإنسان يلقى جزاءه نتيجة أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ويحاسب كذلك حسب فئته في مجتمعه إن كان من الصديقين أو من السّماعين.

وفيما يتعلق بالأرواح عند المانوية، فهي تقوم على مبدأ التقمّص الذي يعني إعادة الصياغة أو التشكيل، وهذا مقتبس من البوذية في الهند. لقد تأثر ماني بالديانة البوذية، وبخاصة بوذية «ماهايانا» في القرن الأول الميلادي. وتأثر بالديانة الزرادشتية وبخاصة الزروانية. وتأثر بالديانة المسيحية وبخاصة الغنطوسيّة منها.. ولذلك امتزجت أفكاره الدينية، واختلطت عليه الأمور وتعمّق في كتابة الأساطير والتخيلات حسب ما يتصور ويشتهي.

وسبحان الله عما يقولون.. وتعالى عما يصفون..

5 ـ ماني Mani (216-276 م):

هو ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمن شابور بن أزدشير بن بابك، وهو من إيران الشمالية الغربية أو أرمينيا. وُلد ماني حوالي 216 م، في قرية «مردينو» ببابل في منطقة بلاد الرافدين التي كانت جزءاً من امبراطورية فارس في القرن

(1) من كتاب الفهرست للنديم، محمد بن إسحق المعروف بالوراق (ت 990 م).

الثالث الميلادي فهو يقول: «إنني رسول شاكر قائم من أرض بابل». تربّى في عائلة تأثرت بالديانة المسيحية، وكان يحلم برؤى دينية، وهو في الثانية عشر من عمره، وكان يتكلم بالحكمة على صغر سنه.

بدأ يبشر بدينه المَانيّ الجديد في الرابعة والعشرين من عمره، وكان دينه بين المجوسيّة والنصرانية وكان مولعاً بالتنجيم، وكان طبيباً قادراً على طرد الشياطين المتلبّسة للمرضى، وشفاء المرضى. وكان حكيماً بارعاً قادراً على صنع المعجزات، وهو رجل الأساطير، ونبيّ المانوية ومؤسسها، ويقال لها حامل الوحي السماوي، ورسول النور، وآخر نبيّ للشريعة السماوية السرمدية، وخاتم الرسل.

ادّعى أنه قد عُرج به إلى السماء، وأنه تلقى الوحي الإلهي هناك على شكل كتاب، توجه إلى شمال الهند لنشر دينه هناك، بعد أن فشل في نشره في بلاد الرافدين. كتب عدة كتب، بعضها بالفارسية والأخرى بالسريانية، أصبحت فيما بعد الكتب الرسمية للديانة المانية، وتنوعت مواهبه الفنية والأدبية بشكل مذهل وكان شخصية غير عادية. ورد في كتاب الفهرست للنديم، أن محمد بن إسحق المعروف بالوراق المتوفى (380 هـ، 990 م) قال في ماني ومذهبه ما يلي:

«ماني بن فتق بابك بن أبي برزام من الحسكانية، واسم أمه مس ويقال أوتاخيم، ويقال مرمريم، من ولد الأشغانية، وقيل أن ماني كان أسقف قنى، والعربان من أهل جوخي ومايلي بادرا وباكسايا وكان أحنف الرجل.. ويقال أن أصل أبيه من همذان، انتقل إلى بابل، وكان ينزل المدائن في طيسفون، وبها بيت الأصنام، وكان فتق يحضره، كما يحضره سائر الناس. فلما كان يوم من الأيام هتف به هاتف من هيكل بيت الأصنام قائلاً: «يا فتق، لا تأكل لحماً، ولا تشرب خمراً، ولا تنكح بشراً».

تكرر عليه ذلك عدة مرات في ثلاثة أيام، فلما رأى فتق ذلك لحق بنواحي دستمسان حيث كان ـ المغتسلة ـ على المذهب ذاته الذي أُمِرَ فتق بالدخول فيه،

وكانت امرأته حاملاً بـ «ماني»، فلما ولدته، زعموا أن أمه كانت ترى له المنامات الحسنة، وأنها كانت ترى في اليقظة كأن آخذاً يأخذه، فيصعد به إلى السماء، ويقيم به يوماً أو يومين ثم يرده، ثم حمله أبوه إلى الموضع الذي كان فيه لينقذه فربّي معه، وعلى ملته، وكان يتكلم «ماني» بكلام الحكمة رغم صغر سنه وحداثته . .

ولما أتمّ الثانية عشرة من العمر جاءه الوحي ـ على حد قوله ـ، من ملك جنان النور، وهو الله تعالى الإله عما يقوله، وكان الملك الذي جاءه بالوحي يسمى «التوم» وهو بالنبطية، ويعني القرين، فقال له: «اعتزل هذه الملة، فلست من أهلها، وعليك بالنزاهة وترك الشهوات، ولم يأن لك أن تظهر لحداثة سنك».

فلما أتم الرابعة والعشرين من العمر. أتاه «التوم» موحياً إليه بأنه «فقد حان لك أن تخرج فتنادي بأمرك». ويخاطبه بقوله «عليه السلام «ماني»، منّي ومن الرب الذي أرسلني إليك، واختارك لرسالته، وقد أمرك أن تدعو وتبشر ببشرى الحق من قبله، وتحيل في ذلك كل جهدك».

ويذكر محمد بن إسحق ما جاء به ماني، وما قاله في صفة القديم وبناء العالم والصراع بين النور والظلام، النور وهو العظيم الأول والإله الأكبر وهو أحد الكونين، والظلمة هي الكون الآخر وكل منهما ينفصل عن الآخر. قال البيروني في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ما يلي: «ثم جاء ماني تلميذ فادرون، وكان قد عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية فتنبأ وزعم في أول كتابه الموسوم بالشابورقان وهو الذي ألفه لشابور بن أردشير أن الحكمة والأعمال هي التي لم يزل رسل الله تأتي بها في زمن دون زمن، فكان مجيئهم في بعض القرون على يدي الرسول الذي هو البد إلى بلاد الهند، وفي بعضها على يدي زرادشت إلى أرض فارس، وفي بعضها على يدي عيسى إلى أرض المغرب، ثم نزل هذا الوحي وجاءت هذه النبوءة في هذا القرن الأخير على يدي أنا ماني: رسول إله الحق إلى أرض بابل».

نهاية محزنة:

في أواخر أيامه تعرض لرقابة شديدة في عهد بهرام الأول (274-277 م) فقد ورد في هذا النص القبطي وصف لأيام ماني الأخيرة، عندما تلقى الاعتراض الملكي. يقول النص: «رجع لتوّه، يكتنفه الغضب والأسى، فغادر هرمزاردشير إلى ميسان ثم إلى نهر دجلة، ومن هناك ركب النهر إلى طيسفون، وعندما كان على ضفاف النهر يتابع رحلته، حذّر أتباعه وأنذرهم بقرب موعد نيله الشهادة، وذلك بقوله: انظروا إليّ، واملأوا عيونكم منّي، يا أولادي ففي قريب سيرحل جسدي عنكم، وقد استدعاه الملك «بهرام» لاتهامه بنشر مبادىء دينية تعارض شريعة زرادشت المعترف بها رسمياً، ولما جاء لمقابلة الملك دار بينهما حوار فيه اتهام وتجريح من الملك، وفيه دفاع وتصريح من الرسول ماني، كانت النتيجة أن أقرّ الملك بتقييد ماني بالأغلال، وأن يؤخذ إلى السجن، حيث بقي فيه أقل من شهر في عام (276 م)، وكان ماني يقابل تلاميذه وحوارييه في سجنه ولكن قوته انهارت بسبب تقدمه في السن، فهو في الستين من عمره، وهو مستمر في صيامه إلى أن مات في الرابع عشر من نيسان من العام نفسه..

ويعتقد المانيون أنه صعد من جسده إلى مساكن جلالته في عليين «ويقال إن الملك بهرام قتله وسلخ جلده وحشاه تبناً، وعلّقه على باب مدينة جند يسابور الذي يعرف بباب ماني».

ويحكى أن الملك أمر بغرز مشعل محترق في جسد ماني ليتأكد فيما إذا كان ميتاً بالفعل أم لا. ثم مزقت جثته، وقُطِعَ رأسه، وعُلِقَ فوق باب «بيت ـ لابات». ثم قام الأتباع المخلصون له بدفن بقايا جسده في طيسفون..

ومهما كانت طريقة قتله فالموت واحد، ولم تتعرض ديانة كما تعرضت ديانة ماني للاضطهاد والملاحقة، كما أن نهاية حياته كانت مأساة شنيعة فظيعة بسبب ما قدّم من أفكار ومعتقدات أسطورية..

وقد انقسم أتباعه من بعده إلى شيع وطوائف توافقه في بعض عقائده، وتخالفه في بعضها. ومن فرق المانوية الثنوية:

1 ـ المزدكية، وهم أتباع مزدك.
2 ـ الديصانية، وهم أتباع ابن ديصان.
3 ـ المرقيونية، وهم أتباع مرقيون.
4 ـ الجنجين، وهم أتباع جنجي الجوخاني.

ثم الرشيين، المهاجرين، الكشطين، المغتسلة، وغيرهم...

وقد اعتمدنا على المراجع الآتية في المباحث السابقة وأهمها ما يأتي

١- القرآن الكريم
٢- الأديان دراسة تاريخية د/ رشدى عليان وآخر
٣- تاريخ الأديان د/محمد الزحيلي وآخر
٤- تاريخ الحضارة جالمون طربين - عاقل هذني
٥- الإسلام والأديان دراسة مقارنة د/ مصطفى حلمي
٦- الديانات القديمة محمد أبو زهرة
٧- حضارة العرب غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر
٨- العقيدة الإسلامية الإلهيات والنبوات د/شوقي إبراهيم
٩- عالم الأديان محمد فوزي
١٠- قصة الأديان المرحوم د/ رفقي زاهر
١١- ماني والمانوية د/ سهيل زكار
١٢- مدخل لدراسة الأديان د/صفوت حامد
١٣- الملة والنحلة في اليهودية والمسيحية والإسلام. الزميل المرحوم د/حمدي

والله ولي التوفيق .. حازم شوقي إبراهيم